مجلة
الجامعة الاسلامية

در عن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة – العدد الاول – السنة الثانية – رجب ١٣٨٩ هـ

في هذا العدد

الجامعة الاسلامية

مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر

من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

المراسلات بعنوان :

الجامعة الإسلامية — المدينة المنورة

سكرتير المجلة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

متعهد التوزيع (الدار السعودية للنشر بجدة)

مؤتمر القمة الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد : فإن من تأمل القرآن الكريم الذي أنزله الله تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين يجد فيه بياناً شافياً لعوامل النصر وأسباب التمكين في الأرض والقضاء على العدو مهما كانت قوته ويتضح له أن تلك الأسباب والعوامل ترجع كلها إلى عاملين أساسيين وهما : الإيمان الصادق بالله وبرسوله ، والجهاد الصادق في سبيله ، ومعلوم أن الإيمان الشرعي الذي علق الله به النصر وحسن العاقبة يتضمن الإخلاص لله في العمل والقيام بأوامره وترك نواهيه ، كما يتضمن وجوب تحكيم الشريعة في كل أمور المجتمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما يتضمن أيضاً وجوب إعداد ما يستطاع من القوة للدفاع عن الدين والحوزة ، وجهاد من خرج عن الحق حتى يرجع إليه . .

أما العامل الثاني وهو الجهاد الصادق فهو أيضاً من موجبات الإيمان ولكن الله سبحانه نبّه عليه وخصّه بالذكر في مواضيع كثيرة من كتابه ، وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر به الأمة ورغّبها فيه لعظم شأنه ومسيس الحاجة إليه لأن أكثر الخلق لا يردعه عن باطله مجرد الوعد والوعيد بل لابد في حقه من وازع سلطاني يلزمه بالحق ويردعه عن الباطل ومتى توفر هذان العاملان الأساسيان وهما : الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله لأي أمة أو دولة كان النصر حليفها وكتب الله لها التمكين في الأرض والإستخلاف فيها وعد الله الذي لا يخلف وسنته التي لا تبدل ، وقد وقع لصدر هذه الأمة من العز والتمكين والنصر على الأعداء ما يدل على صحة ما دل عليه القرآن الكريم ، وجاءت به سنة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ، وكل من له أدنى إلمام بالتاريخ الإسلامي يعرف صحة ما ذكرناه وأنه أمر واقع لا يمكن تجاهله وليس له سبب سوى ما ذكرنا آنفاً من صدق ذلك الرعيل الأول في إيمانهم بالله ، ورسوله ، والجهاد في سبيله قولاً وعملاً وعقيدة ، وإليك أيها الأخ الكريم بعض الآيات الدالة على ما ذكرنا لتكون على بيّنة وبصيرة ولتقوم بما تستطيعه من الدعوة إلى سبيل ربك ، وتنبيه إخوانك المسلمين على أسباب النصر وعوامل الخذلان ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقد أجمع أهل التفسير على أن نصر الله سبحانه هو نصر دينه بالعمل به والدعوة إليه ، وجهاد من خالفه ، ويدل على هذا المعنى الآية الأخرى من سورة الحج وهي قوله سبحانه : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) . وقال تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ولا ريب أن المؤمن هو القائم بأمر الله المصدق بأخباره المنتهي عن نواهيه المحكم لشريعته وقال عزّ وجل : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) . وقال عزّ وجلّ في بيان صفات المؤمنين والمتقين : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) . تأمل يا أخي هذه الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة ثم حاسب نفسك بتطبيقها حتى تكون من المؤمنين الصادقين والمتقين الفائزين ولا ريب أن الواجب على كل من ينتسب إلى الإسلام من ملك أو زعيم أو أمير أو غيرهم أن يحاسب نفسه وأن يجاهدها على التخلق بهذه الأخلاق الكريمة والعمل بهذه الأعمال الصالحة وأن يلزم من تحته من الشعوب بهذه الأخلاق والأعمال التي أوجبها الله على المسلمين وأن يصدق في ذلك ويستعين بالله عليه وأن يولي الأخيار الذين يعينونه على تنفيذ أمر الله ورسوله حسب الإمكان وأن يعضدهم حسب الإمكان وأن يتعاون مع غيره من الملوك والزعماء والأعيان في هذا الأمر الجليل الذي به عزتهم ونصرهم وتمكنهم في الأرض كما قال عزّ وجلّ : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) . وقال سبحانه في سورة الأنفال آمراً لعباده بإعداد القوة :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) . وأمرهم بالحذر من الأعداء ومكائدهم فقال تعالى في سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) . وقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً) فانظر يا أخي هذا التعليم العظيم والتوجيه البليغ من

فاطر الأرض والسموات وعالم السرائر والخفيات الذي بيده تصريف قلوب الجميع وبيده أزمة الأمور يتضح لك من ذلك عناية الإسلام بالأسباب وحثه عليها وتحذيره من اهمالها أو الغفلة عنها ويتبين لك من ذلك أنه لا يجوز للمسلم أن يعرض عن الأسباب أو يتهاون بشأنها كما أنه لا يجوز له الإعتماد عليها بل يجب أن يكون اعتماده على الله وحده موقناً بأنه سبحانه هو الذي بيده النصر وهذا هو حقيقة التوكل الشرعي وهو الأخذ بالأسباب والعناية بها مع الإعتماد على الله والتوكل عليه ، وقد نبه الله سبحانه على هذا المعنى في عدة آيات منها قوله سبحانه : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فذكر التقوى أولا وهي أعظم الأسباب لأن حقيقتها طاعة الله ورسوله في كل شيء ومن ذلك الأخذ بالأسباب الحسية والمعنوية والسياسية والعسكرية ثم ذكر التوكل فقال عزّ وجلّ : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أي كافيه . وقال تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إن الله عزيز حكيم) . أما الجهاد الصادق فذكره سبحانه في عدة آيات وذكر ما يترتب عليه من النصر في الدنيا والسعادة في الآخرة وبيّن صفات المجاهدين الصادقين ليتميزوا من غيرهم فقال تعالى : (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بمايعملون محيط) فتأمل أيها المؤمن هذه الصفات العظيمة للمجاهد الصادق حتى يتضح لك حال المسلمين اليوم ، وحال المجاهدين السابقين ، وحتى تعرف سرّ نجاح أولئك وخذلان من بعدهم وأنه لا سبيل إلى إدراك النصر في الدنيا والسعادة في الآخرة إلاّ بالتخلق بالأخلاق التي أمر الله بها ودعا إليها وعلّق بها النصر ، وقد أوضحها الله سبحانه في كتابه المبين في هذه الآيات

التي ذكرناها وغيرها وقال عزّ وجلّ : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) وقد جمع الله سبحانه في هذه الآيات أسباب النصر وردها إلى عاملين أساسيين وهما : الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله ورتب على ذلك مغفرة الذنوب والفوز بالجنة في الآخرة والنصر في الدنيا والفتح القريب ، وأخبر سبحانه أن المسلمين يحبون النصر والفتح ولهذا قال : (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) فإذا كان ملوكنا وزعماونا في مؤتمرهم هذا يرغبون رغبة صادقة في النصر والفتح القريب والسعادة في الدنيا والآخرة فقد أوضح الله لهم السبيل وأبان لهم العوامل والأسباب المفضية إلى ذلك فما عليهم إلا أن يتوبوا إلى الله توبة صادقة مما سلف من تقصيرهم وعدم قيامهم بما يجب عليهم من حق الله وحق عباده وأن يتعاهدوا صادقين على الإيمان بالله ورسوله وتحكيم شريعته والإعتصام بحبله وجهاد الأعداء صفاً واحداً بكل ما أعطاهم الله من قوة وأن ينبذوا المبادى المخالفة لشريعة الله وحقيقة دينه وأن يعتمدوا عليه سبحانه دون غيره من المعسكر الشرقي أو الغربي وأن يأخذوا بالأسباب ويعدوا ما استطاعوا من القوة بكل وسيلة أباحها الشرع وأن يكونوا مستقلين ومنحازين عن سائر الكتل الكافرة من شرقية وغربية متميزين بإيمانهم بالله ورسوله واعتصامهم بدينه وتمسكهم بشريعته . .

أما السلاح وأصناف العدة فلا بأس بتأمينها من كل طريق وبكل وسيلة لا تخالف الشرع المطهر ، والله المسؤول بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذا المؤتمر مباركاً وأن ينفع به عباده وأن يجمع به شمل المسلمين ويصلح به قادتهم ويوفق المجتمعين فيه لما فيه رضاه وعز دينه وذلّ أعدائه وردّ الحق المسلوب إلى مستحقه ونبذ ما خالف دين الإسلام من مبادىء وأخلاق إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان .

نائب رئيس الجامعة



هاتان الكلمتان لم تكن تستعملهما العرب بهذا المعنى الذي يقصده بهما كتاب العصر الحاضر ، لأنهما مما ترجمه المترجمون باللغة العربية ناقلين له من اللغات الأوروبية فتلقاه كتاب العربية واستعملوه في كلامهم وكتبهم .

والرجعية نسبة إلى الرجع وهو مصدر رجع يرجع رجعا أي عاد إلى مكانه الذي كان فيه ، أو إلى حال كان فيها ، وفعله بهذا المعنى لازم .

قال ابن منظور في لسان العرب ومصدره لازمـاً ، الرجوع ومصدره واقعاً ، الرجع يقال رجعته رجعاً فرجع رجوعاً . ا ـ هـ

والرجعية عند المعاصرين صفة الرجعي الذي يرجع في أفكاره وعقائده إلى الزمان الماضي وهو زمن الإنحطاط والجهل ، والظلم والإستئثار ، والإصرار على الخرافات والأوهام ، التي انقشع الظلام فيها عـــن بصائر المتقدمين والمتمدنين السائرين حثيثاً في ركب الحضارة الطالبين للحقيقة لا يمنعهم منها مانع ، من عقيدة أو عادة يتعصب الرجعيون لها ، فهم أعني المتقدمين — دائماً في طليعة هذا الركب ، أغنياء أقوياء سعداء علماء ، سائرون إلى الأمام متعاونون مع الشعوب التقدمية ينظرون إلى آبائهم وأسلافهم نظرة ازدراء أو رحمة وشفقة ويسخرون منهم كلما ذكروا أحوالهم .

بداية عصر النهضة والتقدم عند الأوروبيين وكيف كانت الحال قبل ذلك

ينبغي أن نذكر هنا كيف كانت الحال قبل النهضة ليعرف فضلها ، ويتبين لكل ذي عينين الفرق الشاسع بين التقدميين والرجعيين الذين يصرون على تقديس العصور المظلمة على حد تعبير خصومهم .

قال جوزيف مكيب في كتابه (مدنية العرب في الأندلس) وقد ترجمته وعلقت عليه وطبع في بغداد سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م وسبب ترجمتي له أني كنت في غرناطة أثناء الحرب العالمية الأخيرة لأن الفرنسيين نفوني من الأراضي المغربية التي كانت تحت أيديهم وهي القسم الأكبر ، والقسم الذي كان بيد الإسبانيين كان ممتداً على شاطىء البحر الأبيض لا يزيد عرضه على (٥٠ ميلاً) وكنت ولا أزال مصاباً بداء الربو أحتاج إلى البعد عن البحر .

وكان الطلبة المغاربة الذين يدرسون في جامعة غرناطة ملتفين حولي ، مترددين على زيارتي ، وكان الأساتذة الإسبانيون الذين يعلمونهم لا ذمة لهم ولا أمانة ، وذلك شأن أكثر الأساتذة في البلاد التي تنعدم فيها الحرية ويسود فيها الإستبداد ، فكانوا يفترون على التاريخ ويزعمون أن المسلمين الفاتحين للأندلس من الشرقيين والمغربيين كانوا سيىء الأخلاق جهالاً عُتاةً وكان حكمهم جائراً قاسياً ، فمحوا كل خلق كريم من الشعب الإسباني وعلموه مساوىء الأخلاق ، فكل خلق سيء مرذول يوجد في الشعب الإسباني هو من آثار الحكام المسلمين ، وكنت قد اطّلعت على كتابين ألفهما في تاريخ المسلمين في اسبانيا المؤلف الإنكليزي الشهير الذائع الصيت (جوزيف مكيب) أحدهما كبير والآخر صغير فعمدت إلى الصغير فترجمته بالعربية ليكون سلاحاً بيد الطلبة المغاربة وغيرهم من المسلمين يواجهون به كل عدو جاحد مكابر .

وهذا المؤلف عدو للأديان كلها وقد ذكرت له ترجمة واسعة في أول الكتاب إلا أن طعنه في الإسلام أقل وأخف من طعنه في النصرانية ، لأن علماء شعبه الذين يرد عليهم من الإنكليز وسائر الأوروبيين كلهم نصارى وقد استثقل تفاحش قوله وشتائمه للنصارى ولكني أضطر إلى نقلها إذا كانت ممزوجة

مع اعترافه بفضل المسلمين ، وسبب هذا الإستثقال حب الإقتداء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن طعاناً ولا لعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً ، ولمّا طبع هذا الكتاب ووصلت نسخ منه إلى تطوان في زمن الإستعمار الإسباني صادر الحكام الإسبانيون تلك النسخ وزجوا بالكتبي الذي كان يبيعها في السجن ، وليس ذلك بعيداً من أخلاقهم وقد حبسوني أنا بنفسي قبل أن ينشر الكتاب . وقبل أن يعلموا بوجوده وكان ذلك تهوراً منهم وطغياناً لوساوس كان شيطانهم يوسوس لهم بها ولمقالات كنت بعثتها في البريد الإنكليزي بتطوان إلى الأستاذ المجاهد الشهيد الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه ، فقد اطّلعوا عليها بواسطة بعض الموظفين المغاربة في البريد الإنكليزي ثم أنقذني الله منهم ، وأنقذ ذلك الجزء من المغرب من حكمهم ونسأله سبحانه أن ينقذ الباقي وهو (سبتة ، ومليلية ، ووادي الذهب ، والصحراء المغربية ، والساقية الحمراء) ويوفق المغاربة لغسل هذا العار إنه على كل شيء قدير .

قال جوزيف مكيب في كتابه مدنية العرب في الأندلس :

الفصل الأول

لقد أطلقت لفظ العصور المظلمة كسائر المؤرخين في (تويليفي) هذا على أكثر عصور الممالك النصرانية انحاطاً على العموم ، وخصوصاً القرن العاشر المسيحي . تنصرت الممالك الأوروبية قبل ذلك بخمسة قرون أو ستة قرون تقريباً مضت من يوم تغلب البوابي — جمع بابا — والأساقفة على إرادة الملوك ، وحثوهم على إبادة كل مصدر من مصادر الإلهام يخالفهم ، فأغلقوا المدارس والمعاهد وقضوا على العلم والأدب .

وإذا استثنينا بعض المواضع في أوروبا كالبندقية إذ كان فيها بقية تافهة اصطلاحية من علم اليونانيين يخفف من شرهم وهمجيتهم فإن أوروبا كلها كانت في تباب وخراب اقتصادياً واجتماعياً وعقلياً ، وكان ذلك العهد أشد سواداً وظلمة وانحطاطاً من سائر العصور البابوية وفي ذلك الزمان أطلق الأساقفة والقسيسون والرهبان والراهبات الأعنة في الدعارة والشهوات البهمية ، ولم يكونوا في ذلك الزمان

يستترون حتى بجلباب النفاق ولو أن غنياً مليونياً من أهل هذا العصر كان في ذلك الزمان لقدر أن يشتري مملكة بأسرها وكان تسعة وتسعون في المائة خدماً يعاملون بأقسى ما يعامل بـه العبيد ولم يكن ولا واحد في المائة من الرجال ولا واحدة في الألف من النساء تقدر على القراءة ، وكان الضعيف مضطهداً مقهوراً مسحوقاً تحت الأقدام مغموساً في الطين والدم ، بل حتى القوي كان مهدداً بالأوبئة الوافدة والسيوف اللامعة على الدوام والنجوم ذوات الأذناب في السماء وجنود العفاريت الهائلة في الهواء ، كذلك إن أردت أن تعرف أفكار النصرانية الإجتماعية فادرس القرن العاشر ، فلا زخارف أقوال الواعظين ولا كذب المعتذرين ولا الإذعان السياسي من المؤرخين يقدر أن يخفي عن ذوي الألباب عظم تبعة الكنيسة ، ولا سيما البابوية في ذلك الزمان الذي بلغ فيه الإنحطاط إلى دركة لا نظير لها . وانه لفصل من أشد الفصول البشرية شقاء وحزناً من الفصول التي استشهدت فيها الإنسانية ، وانه لأفظع فصل من فصول غضب الله. حقاً لقد حطّم (بولوس) من ناحية و (اكستين) من ناحية أخرى مدنية الإنسان . فهل هذا هو الذي سماه — بعيدين عن اتباع الهوى — (مدينة الله) .

يقصد المؤلف بهذا الكلام رجلين على يديهما انتشرت النصرانية المحرفة التي يعزو إليها المؤلف كل ما أصاب الناس من الشقاء وينبغي أن أذكر للمستمعين الكرام ترجمتي هذين الرجلين باختصار .

أما بولوس ويسميه الأوروبيون (بول الرسول) وتعده الكنيسة من الرسل الإثني عشر من أصحاب عيسى عليه السلام. وكان برلس يهودياً يونانياً وُلد في طرسوس ولا يُعرف بالتحقيق تاريخ ولادته ، وقد خمن المؤرخون أن يكون قد ولد سنة عشر للميلاد وكان عالماً بعلوم اليونانيين واليهود ، وكان يعد من فقهاء اليهود وكان شديد العداوة لكل من آمن بالمسيح محرضاً على قتلهم ، ولمّا كان في نحو الثلاثين من عمره ادعى أنه رأى رؤيا تدل على أن النصرانية حق فصار نصرانياً متعصباً ، وبعد ما قضى بولوس بقية عمره أي خمساً وثلاثين سنة في حل وترحال ، مطوفاً في أقطار آسيا الصغرى وأوروبا في البر والبحر يدعو الناس إلى النصرانية ويخبرهم بأن الله أمره بذلك ، ويبني الكنائس ويؤسس الجماعات ويركب الأخطار

وأعداؤه من اليهود الحاقدين عليه والنصارى الحاسدين له ينصبون لــه الشباك ويكيدون له المكائد ، وقد سجن مراراً وقتل في رومية سنة ٦٥ بتاريخ النصارى . وله مؤلفات كثيرة ورسائله معروفة مقدسة عند النصارى .

وأمـــا أوكستين ويسمى باللاتينية (أغسطونيوس) فقد ولد في تاغستة وهي بليدة من توميديا في افريقية غير بعيدة عن قرطجنة وهي في هذه الأيام من أعمال تونس في ١٣ من تشرين الثاني سنة ٣٥٤ وتوفي في ١٨ آب سنة ٤٣٠ بتاريخ النصارى ، وكان أبوه وثنياً وأمه نصرانية متعصبة وكان في أول أمره بعيداً عن التديّن والصلاح ثم اشتغل بدراسة الفلسفة ولما بلغ من عمره ٢٩ سنة انتقل إلى إيطاليا فاجتمع بالعلماء ثم دخل في النصرانية بإلحاح من أمه وألّف كتاباً سمّاه (الإعترافات) ذكر فيه سيرته قبل التديّن بالنصرانية وبعده ، ثم رجع إلى بلاده تاغستة ثم أخذ يعظ في الكنيسة إلى أن صار أسقفاً وبقي فيها ٣٥ سنة وألف تآليف كثيرة في الديانة النصرانية ، منها تفسير الزبور ، ومنها حواش على الأناجيل الأربعة ، وله كتابان آخران أحدهما كتاب الإعترافات وقد تقدّم ذكره ، والثاني مدينة الله وإليه أشار جوزيف مكيب الذي ترجمت كتابه وسميته مدنية العرب في الأندلس ، ومقصوده بهذا الكتاب الرد على الوثنيين الذين يعبدون الأوثان ، والأصنام ودعوتهم إلى الدخول في مدينة الله بإيمانهم بدين النصارى الذي يقصر العبادة على ثلاثة أقانيم فقط . أولها الأب ، وثانيها الإبن ، وهو عيسى عليه السلام ، وثالثها روح القدس وهو قد يظهر في بعض الأحيان على شكل حمامة أو غيرها ، يقول كاتب هذه المحاضرة وليت شعري ما الفرق بين عبادة الأوثان والأصنام وبين عبادة الأقانيم الثلاثة ؟ صدق الله العظيم (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلاّ إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون ، قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) سورة المائدة .

ثم قال جوزيف مكيب في وصف انحطاط الأوروبيين قبل فتح المسلمين للأندلس وبعده بزمن طويل :

(اعلم أن أمهات المدن الأوروبية لم توجد فيها قنوات لصرف المياه القذرة حتى بعد مضي ستمائة سنة من ذلك التاريخ أي من سنة ٧٥٦ ــ ١٣٥٦ م فكانت المياه المنتنة النجسة تجري في طول شوارع باريس ولندن ، يضاف إلى ذلك أنها لم تكن مبلطة أو تجتمع فيتكون منها برك حتى بعد ما عملت النهضة في أوروبا عملها قروناً طوالاً أما في مدن المور فكانت الشوارع مبلطة منورة قد سويت فيها مجاري المياه أحسن تسوية في أواسط القرن العاشر ، قال سكوت : بعض القنوات التي كانت تحت الشوارع لصرف المياه القذرة في بلنسية تقدر أن تكتسح سيارة ، وأصغر قناة منهن تقدر أن تكتسح حماراً ووكانت الشوارع مجهزة أحسن تجهيز بالشرطة . وهذا النظام الصحي السامي كانت تعضده النظافة العامة التي يراها الأميركيون في هذه العصور شيئاً واجباً ولكنها في ذلك الزمن كانت في نظر الأوروبيين أعجوبة من أعاجيب الرقي التام فكان في قرطبة وحدها تسعمائة حمام عام وكانت الحمامات الخاصة كثيرة في كل مكان ، أما في بقية بلاد أوروبا فلم يكن فيها ولا حمام واحد ، وكان أشراف أوروبا ورؤساء الإقطاع منهمكين في الرذائل إلى حد يُحجم الإنسان عن وصفه ولم يكن لبس الكتان معروفاً في أوروبا حتى أخذت (موضة) أي طراز لبس الكتان النظيف من المحمديين ولم تكن الزرابي أيضاً تصنع هناك ، وكان الحشيش يغطي أرض قصور الأمراء ومصطبات الخطابة في المدارس وكان الناس والكلاب ينجسون المحلات إلى حد يعجز عنه الوصف ولم يكن لأحد منهم منديل في جيبه ، وفي ذلك الوقت لم تكن الحدائق تخطر ببال أحد من أهل الممالك النصرانية ، ولكن في اسبانيا العربية كان الناس من جميع الطبقات يبذلون الجهود والأموال في تجميل حدائقهم العطرة البهية ، وكانت الفسقيات ترقرق مياهها صُعُداً في صحون الدور والقصور والأماكن العامة ولا يزال في صحن الجامع الكبير في قرطبة حوضان كبيران جميلان من مرمر يزينان ذلك الصحن ، حيث كان كل مصل يتوضأ قبل أن يدخل إلى المسجد ، ووصفهما (سكوت) في في هذا الزمان فقال : هذان الحوضان اللذان كانا من قبل متوضأ للمسلمين الغيورين من جميع الآفاق والآن يمدان بالماء سكان قرطبة النصارى ذوي المناظر القذرة والأخلاق السبعية والجهل العظيم

بمزايا الشعب الطاهر العاقل المهذب الذي تنتمي إليه الذكريات الفاخرة من الفن والصناعة هذان الحوضان يشهدان شهادة مرضية بأن لا دوام للمدنية العليا ، وأن الإنسان دائماً يميل بطبعه إلى التقهقر والرجوع إلى أحوال الهمجية ويشهدان بما لسلطة القسيسين من المقدرة على فعل الشر ، وأن سياستهم التي لن تجد لها تبديلاً أسست على قاعدة احتقار مواهب عبيدهم العقلية ، وهذه العدد التي أعدها الخلفاء بفرط ذكائهم ظهر أثرها في زيادة خارقة للعادة في السكان على حين كانت جميع بلاد أوروبا لا يتضاعف سكانها إلا بعد مضي أربعة أو خمسة قرون ولم تنحصر عنايتهم الأبوية في حفظ الصحة والحياة فقط ، فمع كثرة النفوس المفرطة كانوا لا يرون أحداً يصاب بمصيبة إلا نفسوا عنه الكرب وواسوه وهذا فيما لم يمكن اتقاؤه منها .

وكان يساعدهم على اتقاء النكبات اتخاذهم نظاماً حسناً في استخدام البطالين في اصلاح الطرق والأشغال العامة وكان عبد الرحمن الثاني قد أعلن أن كل من يريد العمل يُمنحه ، ودوائر العدل التي خلفتها محاكم التفتيش وغرف التعذيب كما أثبته المحققون ، كانت منزهة عن كل ريبة أو فساد ، وكانت المعارف والتعليم أحسن مما كانت فيه ممالك الروم ولم يكن يضاهيها إلا ما بلغه اليونانيون من المعارف العلية في أرقى أيامهم . والخلفاء أنفسهم شيدوا المشافي (جمع مستشفى)ودور الأيتام كما كان يفعل ملوك اليونانيين ، ومنذ زال ملكهم زالت هذه المؤسسات من أوروبا ، وكان الأعيان والتجار لا يألون جهداً ما اقتفوا آثار الخلفاء في العمل بهدى القرآن في مثل هذه الخيرات ، وكان الخلفاء أنفسهم يعودون المرضى ويبحثون عن المكروبين لينفسوا كربهم . والنساء اللائي كن نزلن إلى دركة الخدم في بلاد أوروبا لكراهية القسيسين للزواج وإيثارهم العزوبة كنّ على خلاف ذلك عند المور مكرمات مالكات حريتهن ، والكرم إن لم نقل البذخ والسرف اللذان حلا محل التقشف والتعصب في دمشق انتقلا إلى الأندلس فكانا كافيين لحفظ مركز المرأة ، والعشرة الخشنة التي يعاشر بها المسلمون المرأة كما هو مشهور عندنا لم توجد في الأندلس والنساء في القصر الملكي بقرطبة كنّ يساعدن الخلفاء في تدبير الأمور ، وكان طلب العلم مباحاً لهن بكل حرية ، وكثير منهن كان

لهن ولع شديد بالعلوم الرائجة في ذلك الزمن ، من فلك وفلسفة وطب وغيرها ، وكانت النساء يتبرقعن في خارج بيوتهن ولكنهن كنّ مكرمات ، وفي منازلهنّ كنّ مشرفات ومحترمات ، ولا حاجة إلى أن أتكلم في ظرف المور ولطفهم وشهامتهم لأنهم هم الذين طبعوا الشعب الإسباني طبعاً لا يمحى أبداً على الإحترام الشخصي واللطف الذي لا يزال من خواصه المستميلة حتى في الصناع والفلاحين ، وهناك مزية أخرى يمتاز بها المور وهي التسامح الديني .

في أول الأمر كان هناك بلا شك شهداء يعني مقتولين لمخالفتهم الدين ولكن لا مناسبة بين ذلك وبين المذبحة التي عملها الإسبانيون أخيراً في ذرية المور .

وأما بعد استقلال المملكة العربية في الأندلس ، فإذا استثنينا معاملتهم لطوائف الثوار من النصارى كأهل طليطلة الذين كانوا على الدوام ينتظرون الخلاص من ناحية الشمال ، فقد كان أهل الأديان جميعاً يعاملون بالحسنى وكانت على اليهود والنصارى فريضة مالية قليلة تخصم وكانوا يتمتعون بحماية حقوقهم فكثر عددهم وعظم بذلك الخرج الذي يُؤخذ منهم .

وقد رخصوا لنصارى طليطلة في المحافظة على كنائسهم الكبرى ورخص لهم أن يبنوا عدداً كثيراً من الكنائس ، وكانت لهم في طليطلة ست كنائس ، وكانوا مستمسكين بالعلاقات الودية مع جيرانهم حتى أثار فيهم القسيسون الضغينة الدينية وأما ما يخص اليهود الذين كانوا يتمتعون بعصرهم الذهبي حينئذ وارتقوا إلى أعلى درجة في العلوم ونالوا أعلى المناصب في دولة المور فسأتكلم عليه في فصل آخر .

وهذه النبذة المجملة في ذكر مدينة المور ستزداد وضوحاً وتفصيلاً عند الكلام على وصف حياة قرطبة وغرناطة ولا بد أن القارىء علم مما ذكرناه آنفاً تفوق المدنية التي يزعمون أنها وثنية تفوقاً خارقاً للعادة ، ولا بد أنه رأى أثرها في أوروبا المتوحشة وهذا صحيح لا يمترى فيه أحد من المؤرخين .

والمؤرخون لا يقابلون بين المور والنصارى لأنهم لو فعلوا ذلك لكانوا كالذي يقيس أهل (بوستون) مدينة في أمريكا بقبائل أسكيمو وذلك عجب عجيب .

قال (ستنلي لين بول) في شأن النصارى الذين فتحوا شمال اسبانيا : كانت غزوات النصارى لعنة عظيمة على من

يكون لهم فريسة ، وكانوا خُشناً جاهلين أميين لا يقدر على القراءة إلا قليل منهم جداً ، ولم يكن لهم من الأخلاق إلا مثل ما لهم من المعارف — يعني لم يكن لهم منها شيء — وأما تعصبهم وقسوتهم فهو ما يمكن أن نتوقعه من الهمج البرابرة . ا ـ هـ

ونكتفي بهذا القدر من صفة حال أهل أوروبا قبل فتح المسلمين لجنوب بلادهم وإقامة مدنية عظيمة أدهشت العالم وفتحت لأهله باباً ليخرجوا من ظلمات الهمجية والجهل إلى نور المدنية والعلم ، وقد اقتبس الأوروبيون من المسلمين الفاتحين المعلمين المهذبين قبسة من علومهم وآدابهم ، كانت أساساً لنهضتهم ، ولا شك أن العلم والمدنية الذين سبق إليهما المسلمون في الحجاز أولاً حيث نزل القرآن وأشرق نور الإسلام ثم في دمشق والأندلس وبغداد ثانياً هما أعظم تقدم شهده العالم قبل نهضة الأوروبيون ، فالمسلمون أئمة العلم والحضارة والأخلاق لو تركوا ذلك التقدم ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام لكانوا رجعيين مذمومين منتكسين خاسرين . وكذلك الأوروبيون لو رجعوا من نهضتهم وتقدمهم إلى ما كانوا عليه في زمن نهضة المسلمين لكانوا رجعيين أشقياء مخذولين خاسرين ، ولكن الأوروبيين استمروا في نهضتهم من الوجهة المادية وقلّت عنايتهم بالوجهة الخُلُقية ، وقد بلغوا اليوم أوج المدنية والسعادة المادية ولا يزالون دائبين في طلب الكمال وإذا التفتوا إلى الوراء وشهدوا ما كانوا فيه من الجهل والظلمة اغتبطوا واستعاذوا بالله من ذلك العهد . ولهم الحق في ذلك ، ولو أراد بعضهم الرجوع إلى تلك العصور المظلمة كما يسمونها هم أنفسهم لحكم عليه عقلاؤهم بالجنون وسفهوا رأيه واحتقروه وهو بذلك جدير ، أما المسلمون ومنهم العرب فإن معظمهم مسلمون وغير المسلمين منهم قليلون والحكم للغالب ، فقد أخذت علومهم ومدنيتهم في الجزر بعد ذلك المد العظيم منذ مئات السنين ولم يزالوا يرجعون إلى الوراء وينحطون من عليائهم حتى بلغوا أسفل سافلين ، وكانوا بالنسبة إلى الأوروبيين كدلوين اختلفا صعوداً وهبوطاً ، فكلما تقدّم الأوروبيون في العلم والمدنية اللذين اقتبسوهما من المسلمين ازداد المسلمون توغلاً وهبوطاً في الجهل والتأخر اللذين اقتبسوهما من الأوروبيين ولا شك أن استمرارهم في هذه الحال لا يزيدهم إلاّ خبالاً ، فماذا ينبغي لهم أن يعملوا لاستعادة علمهم ونورهم ومجدهم ؟

أيعودون إلى جاهليتهم الأولى يطلبون منها الخلاص ولا خلاص فيها ؟ أم يعودون إلى جاهلية الأوروبيين ؟

قال قائل لا هذا ولا هذا ولكن يقتبسون من الأوروبيين مدنيتهم الحاضرة ويعتبرون أنفسهم كأنهم خُلقوا خلقاً جديداً ، ويقطعون النظر عن الماضي بخيره وشره ، قلنا لهم هذا تقليد ومحاكاة لا ثمرة لهما أبداً ، ولا بدّ لكل بناء من أساس ولو أرادوا أن يفعلوا ذ ئ ما استطاعوا إليه سبيلاً ، فإن الأوروبيين حين اقتبسوا العلم والمدنية من المسلمين لم ينسلخوا من تاريخهم ، وعاداتهم وعقائدهم ، ولو فعلوا ذلك لصاروا مسلمين ، وإنما أخذوا من أساتذتهم المسلمين ما كانوا في حاجة إليه حسبما بدا لهم ، ولم يتركوا شخصيتهم ولا جنسيتهم وبذلك بلغوا من الرقي ما هم عليه ، إلاّ أنهم أغفلوا جانباً من علوم الإسلام ، وهو ما يتعلق بالنفس وتزكيتها والصعود بها من دركات المادة الصماء إلى أوج السعادة الروحية .

وهذا الجانب الذي أغفلوه هو الذي سبّبَ لهم ما هم فيه اليوم من الشقاء بالتخاصم والتنازع والتحاسد والتحارب وسعي كل فريق منهم إلى الإستئثار بأطايب الحياة وشهواتها وملذاتها وحرمان من سواهم من البشر . وإذا كان آباؤنا قد سبقوا إلى العلم والنور والمدنية والأخلاق الفاضلة ورجعنا نحن إلى اقتفاء آثارهم ، وإحياء علومهم لم نكن رجعيين وإنما نحن متقدمون أحسن التقدم إلاّ إذا قلنا : إن علوم المدنية والحضارة قد وقفت في الحد الذي وصل إليه أسلافنا ، فيجب أن نقف عندما وصلوا إليه ولا نقتبس شيئاً جديداً نافعاً أبداً وحينئذ نكون جامدين ولا نستحق الحياة ، فبعض الكتّاب من المسلمين المتهورين الذين لا يزنون أفكارهم بل يهرفون بما لا يعرفون إذا سمعوا الأوروبيين يستنكرون عصورهم المظلمة ويسمونها رجعية ويستعيذون بالله منها يقلدونهم في أقوالهم كالببغاءات ويحاكونهم في أفعالهم كالقردة ولا يعلمون الفرق بين ماضينا وماضيهم فان ماضيم كما قال علماؤهم ظلمات مدلهمة لا نور فيها ، أمّا نحن فبالعكس ماضينا علم ونور ، وحضارة مزدهرة وقوة وعز وسعادة ، فرجوعنا إليه هو عين التقدم ولا يتنافى ذلك مع اقتباس ما جدّ من العلوم والأعمال النافعة .

والحكمة ضالة المؤمن ، أما حاضرنا فهو كماضيهم ظلمات بعضها فوق بعض ، ولنا مثال آخر مع فرق سننبه

عليه وهو الشعب الياباني فإنه اقتبس الحضارة الأوروبية وبلغ فيها شأواً يفوق أساتذته أو فاقهم مع المحافظة على مقوماته ومعنوياته لا يتنازل عن شيء منها فماذا نقول في هذا الشعب أهو تقدمي أم رجعي ؟ لا يستطيع أحد أن يقول هو رجعي فإنه في طليعة الشعوب المتقدمة وقد أصيب بهزيمة عظيمة في الحرب العالمية الأخيرة ، فلم تقض عليه ولم توقف تقدمه ولا يزال هذا الشعب يقدس ملكه ويعتقد أنّه ابن الشمس ، ويقوم في خدمته بطقوس لا تعقل ولم يضره ذلك ولا نقص تقدمه لأنه لا يخطو خطوة في طلب التقدم إلا بعقل ووعي ولا يحب التقليد أبداً .

لمّا كنت مقيماً في برلين كنت أتردد على المطعم الصيني أحياناً وكنت أراه مع اختلاف أطعمته عن المطاعم الجرمانية يشابهها في التأنق والزخرفة ويؤمه دائماً الأغنياء من الأوروبيين الذين عاشوا مدة في الشرق وألفوا أطعمته ، بنسائهم وبناتهم وأولادهم وكثير منهم كانوا يأكلون الرز بالعيدان كعادة الصينيين إلاّ أنهم يشربون الحساء بدون صوت سواء منهم الشرقيون والغربيون كعادة الأوروبيين فإنهم يستنكرون الشرب بصوت وكان في ذلك الوقت في برلين ثلاثة مطاعم صينية ، وسمعت بمطعم ياباني فذهبت إليه لأوازن بينه وبين المطاعم الصينية ، فلم أرَ فيه شيئاً من التأنق وكان صغيراً، رأيت فيه نحو خمسة وعشرين آكلاً كلهم رجال يابانيون ولا يوجد فيه إلاّ امرأتان اثنتان ، عجوز في المطبخ وأُخرى توزع الطعام ، والذي استرعى نظري فيه وتعجبت منه هو شرب الحساء بأصوات منكرة تتجاوب أصداؤها فقلت في نفسي هؤلاء اليابانيون كلهم يقيمون في البلاد الجرمانية ويعرفون عادات الجرمانيين حقّ المعرفة وانهم يستقبحون الشرب بصوت فقد رغبوا عن عاداتهم وتباروا في الشرب بأصوات عالية فما مقصودهم بذلك ؟ أظن أن مقصودهم الإعتزاز بعاداتهم كيفما كانت ، لأنهم لم يسافروا إلى أوروبا بقصد تعلّم أدب الأكل وأدب الشرب وأدب الرقص وأدب الغناء وما أشبه ذلك ، لأنهم يرون آدابهم أكمل الآداب ولا يبغون بها بديلاً ولكنهم جاءوا لأغراض لا يمكن أن تحصل في بلادهم وفي ذلك عبرة للمقلدين .

هذا واليابانيون وثنيون يعبدون غير الله وهو نقص كبير في معنوياتهم

وإهمال لتزكية أنفسهم وتوجيهها لما خلقت له ولما يرفعها ويسمو بها إلى الملأ الأعلى ويبلغ بها أعلى مراتب الكمال الإنساني ولكنهم لما تجنبوا التقليد في اقتباسهم علوم الأوروبيين وأخذوا منهم العلم على بصيرة واستقلال وبعقل وروية كما فعل الأوروبيون مع المسلمين أدركوا الثمرة نفسها التي أدركها الأوروبيون وهي السعادة المادية المنغصة بسبب إهمال النفس ، ولو أن اليابانيين همّوا بالرجوع إلى ما كانوا عليه قبل مائة سنة لكانوا سفهاء رجعيين ولزيادة الإيضاح أقول : كيف كان العرب وسائر الشعوب التي أسلمت وحسُن إسلامها قبل الإسلام وكيف صاروا بعد الإسلام ؟

الجواب أنهم كانوا قبل الإسلام من الوجهة الخلُقية في أسفل الدركات يقتلون أولادهم من الفقر أو خوف الفقر ، والمراد بقتلهم من الفقر أن يكونوا فقراء فيقتلون من يولد لهم لعجزهم عن إعاشته بالتغذية وسائر ما يحتاج إليه ، والمراد بقتلهم خوف الإملاق أن يقتلوا الولد مخافة أن تفضي بهم حياته إلى الفقر في المستقبل ولذلك جاء في القرآن الكريم في سورة الأنعام (١٥١ : ولا تقتلوا أولادكم من إملاق

وفي سورة الإسراء (٣١ : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) وكانوا يئدون بناتهم أي يدفنونهنّ حيّات وكانوا يعبدون التماثيل من الحجارة كما يعبدها كثير من البشر في هذا الزمان ، وكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله وكانوا يستقسمون بالأزلام ، يضعون عيداناً في كيس قد كتب على بعضها أمرني ربي أن أفعل ، وعلى بعضها نهاني ربي أن أفعل ، وبعضها غفل لا كتابة عليه . فيدخل الواحد منهم يده فاذا صادفت العود الذي فيه الأمر أقدم على عمله ، وإذا صادفت العود الذي فيه النهي أحجم عن عمله ، وإذا صادفت العود المهمل أعاد الإستقسام ، وكانوا يتيمنون ويتشاءمون بالطير ، يزجرون الطائر فإن طار إلى اليمين استبشروا وإن طار إلى الشمال تطيروا وخافوا .

وكانوا يخافون من الجن ويعوذون برؤسائهم أي يطلبون الحماية منهم وكانوا يأكلون الميتة والدم ، ولا يورثون امرأة ولا صبياً بل كانوا يرثون النساء أنفسهن باعتبارهن أموالاً ، وكان بعضهم يقتل بعضاً على أتفه الأمور . ويضيعون أموالهم في القمار والمنافرة وهي أن يتنافر إثنان للتفاخر فيعقر هذا بعيراً من ابله وينحر ، ويعقر

الآخر مثله حتى تفنى ابل كل منهما ، وكانوا أشتاتاً كل قبيلة وحدها لا كلمة تجمعهم ولا عقيدة ولا دين ولا شريعة ، وكانوا أذلاء سكان القسم الشرقي تحت حكم الفرس ، وسكان القسم الغربي تحت حكم اليونانيين وسكان وسط الجزيرة كانوا فوضى ولم يحفظ التاريخ لوسط الجزيرة وغربها وشرقها حضارة تذكر ، أمّا أهل الجنوب فقد كانت لهم حضارة قضى عليها جيرانهم من الحبشة وأهل فارس فكيف صارت حالهم بعد الإسلام ؟

كل أهل العلم يعلمون أنهم صاروا أسعد الناس ، صاروا أئمة أهل الدنيا في الدين والدنيا ، وصاروا حكّام العالم وقد رأيتم في هذا المقال شهادة العلماء الأوروبيين المنصفين لطائفة منهم وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى إقامة دليل فهل الإعتزاز بهذا المجد والبناء عليه والتمسك به يعدّ رجعية ؟ إن كان الأمر كذلك عند هؤلاء السفهاء فحيا الله الرجعية وحي عليها وأهلاً وسهلاً بها ، ألا ساء ما يحكمون .

ويقال لهؤلاء التقدميين المخدوعين أين تذهبون ؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ اهبطوا فقراً وذلة وشتاتاً وجهلاً وحزناً وشقاء فإنّ لكم ما سألتم وستضرب عليكم الذلة والمسكنة وتبوؤن بغضب من الله زيادة على ما أنتم عليه ، ذلكم بأنكم تقتلون المصلين في المساجد وتشردون علماء الإسلام المصلحين فريقاً حبستم وفريقاً تقتلون والله عزيز ذو انتقام .

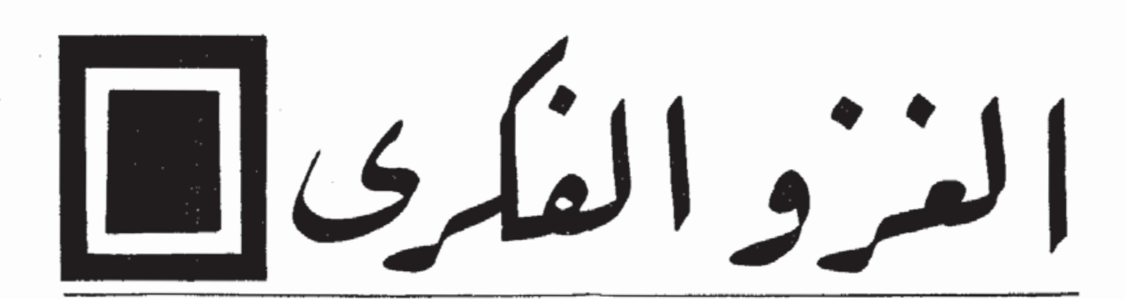
وما من يد إلا يد الله فوقهـــا

وما ظالم إلاّ سيُبلى بأظلـــم

الرجعية والتقدم
في نظر الإسلام

تقدّم أن العقل الصحيح يرى التقدم في العلم والعدل وسائر الأخلاق الكريمة فكل أمة اتصفت بالعلم والأخلاق فهي متقدمة وإن كانت قبل مليون سنة ، وكل أمة اتصفت بالجهـــل ومساوىء الأخلاق فهي متأخرة ساقطة مذمومة ملعونة وإن كانت ستجيء بعد بعد خمسمائة سنة ، والإسلام دين العقل يوافق على هذا ولا يخالفه أبداً فلا عبرة بالزمان ولا بالمكان ، قال الله تعالى في سورة النساء : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجزَ به ، ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) .

البقية على ص



بقلم الشيخ ممدوح فخرى

المدرس بكلية الدعوة واصول الدين

لقد كان سقوط الخلافة الإسلامية وزوال الدولة العثمانية من أكبر الكوارث التي تعرّض لها المسلمون في العصر الحديث وذلك لأن هذه الدولة كانت تمثل المظهر الأخير من مظاهر قوة المسلمين وسيادتهم ، وقد تضافر لذلك السقوط أسباب عديدة وعوامل شتى منها ما هو ذاتي داخلي ومنها ما هو خارجي ، ولسنا بصدد تعداد هذه العوامل أو مناقشتها ولكننا نركز على عاملين مهمين منها كان لهما الدور الأكبر في انهيار الخلافة والنصيب الأوفر من تركتها وهما الكيد اليهودي من الداخل والغزو الصليبي من الخارج . أجل لقد التقى الدس اليهودي مع المكر الصليبي على تحطيم القوة السياسية والعسكرية للمسلمين والتي كانت متمثلة في الدولة العثمانية . ونحن نستدرك قبل كل شيء ونقول :

إن الخلافة العثمانية لم تكن خلافة راشدة بل لها عيوبها الكثيرة ولكن مع ذلك فإن إصلاح الخلافة خير من إسقاطها . وعلى أية حال فقد زالت الخلافة واختفى هذا المنصب من حياة المسلمين للمرة الأولى ، وزال بذلك رأس هذه الأمة عن جسدها وبقيت بعده جثة هامدة لا تبدي حراكاً وهان بالتالي على الكلاب أن تنهشها وعلى الأفاعي أن تنفث سمومها فيها . ولقد كان دور اليهود في هذا الصراع دور دابة الأرض التي أكلت منسأة سليمان وذلك باندساسهم في مراكز الدولة الحساسة بواسطة منظماتهم السرية وخلاياهم الماسونية ففتوا في عضدها ونخروا في عودها إلى أن أقوت ، فلما جوبهت بعد ذلك بالغزو الصليبي لم تلبث أن انهارت وخرت . وفرح المجرمون يومئذ بنصرهم وفازوا بأمنية من أعز أمانيهمّ ألا وهو قطع الخيط الذي كان ينتظم المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم كما ينتظم الخيط حبات العقد ألا وهو خيط الخلافة المنسوج من روح الإيمان والأخوة الإسلامية . وبانقطاع ذلك الخيط تناثرت فرائد العقد وانتهبتها اللصوص ، وبترت أوصال الأمة الواحدة فأصبحت أمماً ، وقسمت أجزاء الوطن الواحد فأصبح أوطاناً وتقاسم القتلة تركة المقتول . وكان هذا كما قلنا من أكبر الكوارث التي ألمّت بالمسلمين وذلك لما ترتب عليه من آثار بعيدة المدى كما سنرى شيئاً منه في هذه الكلمة . وأما التخطيط والإحكام اللذين عمل على أساسهما أعداء الإسلام بعد هدم الخلافة فقد أعظم خطراً مما قبله وذلك ما أن دالت دولة الإسلام وزالت شوكته حتى سارع الأعداء إلى الأخذ بالأسباب البعيدة التي تحول دون عودة الإسلام إلى الحياة من جديد ، هذا الدين العملاق الذي كان ظهوره خطراً على الكافرين على اختلاف أنواعهم والذي أجلاهم عن الجزيرة العربية كلها واستخلص من أيديهم أجزاء شاسعة من آسيا وإفريقية واقتحم عليهم ديارهم في أوروبا وراحت خيوله تنطلق برسالة التوحيد من المحيط إلى المحيط في فترة لا تزيد على ربع قرن .

أجل لقد سارع أعداء هذا الدين إلى الأخذ بجميع الأسباب التي تبقيه صريعاً وتضمن لهم السيطرة الدائمة على المسلمين وبلادهم ، ووضعوا لذلك مخططاً رهيباً وسهروا على تنفيذه بدقة وإحكام إلى أن أتى جميع

الثمار المرجوة منه . وسنحاول في هذه العجالة أن نلم بأبرز خطوط تلك المؤامرة الرهيبة التي استهدفت وجود المسلمين باعتبارهم أمة وأرضاً وحضارة .

أولاً — فكرة فصل الدين عن الدولة :

وهذا يعني باختصار إقصاء الدين عن الحياة والحيلولة بينه وبين أداء مهمته التي جاء لأجلها ، وسجنه في المعابد والأديرة والكهوف مع منعه من التدخل في شؤون الحكم والسياسة والإقتصاد والتعليم وسائر مرافق الحياة الحية وتفويض كل ذلك إلى مردة من الطواغيت الذين يتألهون على العباد ويستكبرون في الأرض ويسعون فيها فساداً ويستذلون الرقاب ويقيمون للناس شريعة الهوى والشيطان بدلاً من شريعة الرحمن وهداية القرآن وينصبون من أنفسهم سدنة للدين الجديد الذي أتوا به . وقد كانت هذه الفكرة من أخطر ما جلبه الغزو الفكري إلى بلاد المسلمين فقد جاء الغزاة إلى الشرق المسلم وهم حديثوا عهد بالتحرر من الطغيان البابوي الذي رزحوا تحت نيره زمناً طويلاً وعانوا منه ما عانوا باسم الدين ، واستطاعوا بعد صراع مرير إقصاء البابا ودينه من حياتهم ثم انطلقوا في الأرض وهم يحملون فكرة فصل الدين عن الدولة بمعنى أن الدولة في سلوكها كله وفي جميع شؤونها الخاصة والعامة لا تسترشد بمبادىء الدين ومعتقداته ورجال الحكم والسياسة أحرار في تصرفاتهم بغير وازع أو رقيب من الدين والدين بحد ذاته لا يعدو كونه علاقة خاصة بين العبد وربه . جاؤوا إلى الشرق مزودين بهذه الفكرة ليجدوا في الشرق ديناً عظيماً يلبي جميع حاجات الإنسان في حياته الخاصة والعامة وينظم علاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان . فكان هذا الدين بشموله وواقعيته وتكامل نظرته إلى الوجود أعظم عدو جابهوه لذلك ولتستقر أقدامهم في أرض الإسلام لا بد من الحيلولة بين الإسلام والحياة وذلك بتشويه فكرة أبنائه عنه ومسخ مفهوم الدين في نفوس المسلمين وجعله رهبانية سجين الصوامع . وقد أشار إلى هذا المعنى رئيس وزراء بريطانيا غلادستون في مجلس العموم البريطاني حيث قال وهو يشير إلى القرآن الكريم : لا قرار لكم في مصر ما دام هذا الكتاب في أيدي المصريين . وفعلاً نجحت مخططاتهم واستطاعوا أن يزيحوا الإسلام تلك العقبة العظيمة عن طريقهم وذلك بإيجاد أجيال من المسلمين يؤمنون كما

أراد لهم أسيادهم بضرورة فصل الدين عن الدولة ، ويطلقون بين حين وآخر تلك الكلمة الخبيثة : الدين لله والوطن للجميع ، والواقع أن الدين لله والوطن لله والكون كله ملك لله فلا يجوز أن يكون فيه إلا ما يرضي الله . وهكذا أصبح أبناء المسلمين عوناً على دينهم مع أعدائهم وحملوا عن الأعداء عبئاً كبيراً في محاربة الدين حتى يتفرغ الأعداء للإفساد في مجالات أخر .

فكرة القوميات والعصبيات الجاهلية :

لقد أدرك أعداء الإسلام بأن قوة المسلمين تكمن في هذا الدين وفي اجتماعهم حول مبادىء هذا الدين وتمسكهم برابطة الأخوة الإسلامية التي تنتظمهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، لذلك كان لا بدّ من فصم عُرى هذه الأخوة التي تشد المسلم إلى أخيه وتكوّن منهم قوة رهيبة يحسب لها الأعداء ألف حساب على ما جاء في الحديث الشريف : مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وكانت فكرة القوميات هي البديل الجديد للأخوة الإسلامية ، فانطلق أعداء الإسلام مع أجرائهم لإحياء العصبيات النتنة من قبورها وجمع رفاتها وبعث الحياة فيها من جديد بعد أن أماتها الإسلام من قرون . واستطاعوا أيضاً أن يُذكّروا الناس بماضيهم الذي كانوا عليه قبل الإسلام وعملوا على بعث الحضارات الجاهلية البائدة وإحياء مظاهرها وتعظيم تلك المظاهر وعرضها عرضاً مغرياً يوحي بأصالتها وعراقتها ، ونفخوا في الناس روح التقديس لتلك الرسوم البالية ، فانتسب الناس لآبائهم بدلاً من الإنتساب إلى دينهم ونسوا مفهوم قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . ونسوا قوله تعالى في الحديث القدسي المأثور : جعلت نسباً وجعلتم نسباً فقلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقلتم فلان بن فلان ، فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم . ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم : الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى .

وهكذا وبهذه القوميات المنتنة تفتت وحدة المسلمين وعادت الأمة الواحدة أُمماً شتى لا تربطها بأخواتها رابطة سوى الإنتماء الإسمي إلى الإسلام ،

وفقد المسلمون بذلك أعظم سلاح في أيديهم بعد إيمانهم بالله ، وهان على عدوهم بعد ذلك أن يفترس كل جماعة على حدة دون أن تنتصر لها الجماعة الأخرى .

فكرة الوطنية : لا شك أن وحدة الوطن من عوامل وحدة الأمة وتماسكها ومن عناصر قوتها لذلك خطط الأعداء لتجزئة الوطن الإسلامي الواحد وجعله أوطاناً تفصل بينها الحدود والسدود المنيعة التي تحول دون التقاء الأخوة على غاية واحدة وتحت لواء واحد . وكان لهم ذلك ، ووُجدت هناك دويلات وممالك وإمارات زائفة أراد لها الأعداء أن تكون فكانت . ولكن الأمر لم ينته عند التجزئة بل لا بد من التبرير والإبقاء على هذه التجزئة وذلك بربط الناس وشدهم إلى الأرض بعد أن قطعوا صلتهم بالسماء فكان لذلك هذا التغني بالأوطان وكان هذا التمجيد للأوطان وكان هذا التفاني في سبيل الأوطان ، وغدا حب الوطن وسيلة لمرضاة الشيطان فالمسلم يحب وطنه ولا شك ويعتبر الدفاع عنه جزءاً من الدفاع عن دينه وكيانه وسيادته على أساس أن الوطن هو الأرض التي تقام عليها شعائر دينه ولا بدّ للدين من أرض يستقر عليها وتطبق أحكامه ومبادئه فيها لهذا المعنى كان المسلم الذي يموت دون أرضه شهيداً وكان الدفاع عن الوطن حتماً لازماً . فالوطن لا يُحب لذاته وإنما لأنه قد يكون وسيلة لمرضاة الله وذلك بإقامة الدين فوق أرضه ، وأما إذا كان الدين غريباً في وطن ما فالتعلق بذلك الوطن لمجرد كونه وطناً مظهر من من مظاهر الوثنية والعصبية فالوطن بغير دين وثن . ولا يفهم من هذا بأن المسلم يتنازل عن وطنه بيسر وسهولة ، بل يُفهم منه أن المسلم لا يتمسك بوطنه إلا ليعبد الله على أرضه ، وأنه يجاهد ليكون الدين كله لله في كل أرض الله في وطنه وغير وطنه .

فكرة العلمانية : جاء الغزاة إلى الشرق المسلم ولمّا ينفضوا أيديهم بعد من ركام الكنيسة التي دمروها في أوروبا لتوهم وتحرروا بذلك من سلطان رجال الدين وأباطيلهم وأضاليلهم وخرافاتهم التي كانت تُفرض عليهم باسم الدين والدين منها بريء فلما أثبتت التجارب والتقدم الفكري الهائل مناقضة آراء الكنيسة وأهوائها لحقائق العلم ، وانجلى ذلك الصراع المرير بين الدين والعلم بهزيمة مروعة لدين الكنيسة صنّف رواد النهضة العلمية أن الكنيسة في عداد الخرافات والخزعبلات والأوهام والأساطير التي لا تمت إلى الحقائق

العلمية بصلة وأخرجوها بذلك من مجال اليقينيات إلى مجال الشك والظنيّات والتخيلات ، وأفقدوها بذلك قداستها وجدارتها ومكانتها ، وهذا كله حق لا ريب فيه بالنسبة لجل آراء الكنيسة وأهواء رجالها ، ولكنه بالنسبة للإسلام وهو وحده الدين الحق المحفوظ بحفظ الله باطل كله . وهذه مبادىء الإسلام جملة تثبت أمام التحدي العلمي الهائل مدى أربعة عشر قرناً ثُبوتاً رائعــاً مذهلاً ، بل لا يزيده التحدي والتقدم العلميان إلا رسوخاً في قلوب المؤمنين به ولا تكون الكشوف العلمية إلا من جملة البراهين على عظمة هذا الدين . ولكن الغزاة وهم في غمرة انتصارهم على دين الكنيسة لم يكن لديهم استعداد للتمييز بين دين ودين ، بل التهموا جملة الأديان وحاربوها جميعاً ، وكان على الإسلام الذي بارك العلم وأكبر العلماء وتعهّد أكبر حركة علميـة في التاريخ القديم ووضع أُسس الحركة العلمية الحديثة ، كان على الإسلام هذا أن يتحمل خرق رجال الدين لا من أبنائه أو في بلاده بل في أوروبا . ويتهم بمــا اتُهمت به الكنيسة من محاربة العلم ومصادمة العقل . وكما أن النهضة العلمية والفكرية نشأت في أوروبا في ظلال الإلحاد فكذلك امتدت جذورها وفروعها إلى سائر البلاد وهي تحمل سمة الإلحاد والتنكر القاطع لكل مالا يقع تحت التجربة ويخضع للحواس . ولا مجال هنــا هنا لمناقشة الملاحدة في تنكرهم لحقائق الدين الكبرى . ولكنها الإشارة إلى أن الإلحاد هو السمة البارزة لحضارة اليوم وهو مظهر من أكبر مظاهر الغزو الفكري لبلادنا .

شعارات المدنية والحضارة والتقدم :

وكذلك من مظاهر الغزو الفكري لبلادنا وشبابنا التغني بالشعارات الجوفاء التـــي لا مدلول لهــا ، وإطلاق الإصطلاحات الضبابيةالفارغة والكلمات القاتمة الموهمة وجعل ذلك كله مبرراً للتخلص من كل قديم مهما كان ذلك القديم خيراً ونافعاً . فكل قديم مناف للمدنية والتقدم وكل جديد هو الحضارة ، وبناءً على هذا المقياس فقد تُرك الدين وهُجرت الأخلاق ونُبذت الفضائل ، وتخلى الناس عن الأعراف والتقاليد الأصيلة لأمتنا واستُغني عن كل ذلك لأنه قديم وكل قديم ينافي المدنية والرقي ، ولله در الرافعي حيث كتب على غلاف كتابه : « تحت راية القرآن » وهو كتاب يبحث في المعركة بين القديم والحديث : إلى

الذين يريدون تجديد اللغة والدين والتاريخ والشمس والقمر . يريد الرافعي أن يقول : لا يمكن التخلص من كل قديم . وليس كل قديم ضاراً بدليل أن الشمس والقمر قديمان ولا يمكن الإستغناء عنهما وغيرهما كثير جداً .

فإيجاد هذا النوع من التعارض بين القديم والمدنية والرقي ودون تمييز بين الضّار والنافع أصبح مفهوماً مركوزاً في نفوس الخاضعين للغزو الجديد كمظهر من مظاهر هذا الغزو . مع أن جميع الفضائل قديمة .

الحركة النسائية وفكرة تحرير المرأة :

لم يكن يخفى على الغزاة ومريديهم أمرَ المرأة ودورها في الهدم والتدمير لذلك أولوها اهتمامهم الزائد وعنايتهم البالغة وبُحّتْ حناجرهم وهم ينادون بتحريرها واسودت صحفهم وهم يطالبون بحقوقها وكأن الديانات ما جاءت إلا لترشد الناس إلى ظلم المرأة وهضم حقوقها ، وجاؤوا هم ليرفعوا عنها هذا الحيف الذي عانت منه أجيالاً طوالاً .

وإذا أردت أن تكون موضوعياً ومحدداً في مناقشة أحدهم ترى أن خلاصة شغبهم وصراخهم وعويلهم حول هذا الأمر لا يتجاوز تجريد المرأة من دينها وخُلقها ثم من حجابها وثيابها . فالظلم كله هو أن تبقى المرأة متمسكة بدينها وخُلقها وعفتها وطهارتها ، مسبغة عليها حجاب الصون والعفة ، والعدل كله أن تتحرر من كل ذلك . وكنتيجة طبيعية لانهزام المسلمين انهزموا أيضاً في هذا الميدان وحقق الغزاة انتصاراً مذهلاً مروعاً ، وجردت المرأة من حليها في الظاهر والباطن فأبدت عورتها للناس وتبرجت تبرجاً أشد من تبرج الجاهلية الأولى وانطلقت في الشوارع كاسية عارية مائلة مميلة تغري الناس بزينتها وتحرضهم على الرذيلة وتدمر كل شيء بإذن أسيادها وأساتذتها من الغزاة وعملائهم . فتحطمت الأسر وهُدمت البيوت وشاعت الفاحشة في الذين آمنوا وقُوضت أركان المجتمع الإسلامي وسرى الإنحلال والإنهيار في كل جوانبه ، وكان للأعداء ما أرادوا .

تلك هي أبرز مظاهر الغزو الفكري في نظرنا وأما أهم وسائل هذا الغزو فهي ما يلي :

برامج التعليم : بعد أن استقر الغزاة في بلادنا رأوا أنهم لا قرار لهم في أرضنا ما لم يتبعوا غزوهم هذا بانقلاب فكري وغزو ثقافي فإن سيوف الغزو الثقافي أمضى بكثير من سيوف

الغزو العسكري ولتحقيق هذه الغاية أحدثوا انقلاباً جذرياً في برامج التعليم ومناهج دور العلم ووضعوا مخططاً جديداً يكفل لهم إيجاد أجيال مـــن المسلمين تدين بدينهم وتقول بقولهم وتفعل بفعلهم ولا تمت إلى الإسلام إلا بصلة الإنتماء الإسمي في الوقت الذي تتنكر فيه للإسلام في العقيدة والسلوك . وكانت المدارس التي طبقت هذه المناهج نوعين : مدارس المبشرين التي تُدار بواسطة الغزاة مباشرة ومدارس تُدار بواسطة أذناب الغزاة تحت ألقاب إسلامية خادعة . وآتت هذه المدارس أكلها وأنبتت نابتة من المسلمين على أعين الغزاة وتحت سمعهم وبصرهم ، فكانت كما أُريد لها أن تكون متنكرة لكل تراثها الفكري والروحي والحضاري مكبرة ومجلة للغازي وحضارته وتراثه ورسالته . وبعبارة أُخرى كانت هذه الأجيال الجديدة هي الهجين الذي أُدخل على الأمة الإسلامية وليس منها . أجيال هي غريبة عن هذه الأمة وعن عقيدتها وعن حضارتها وعن فكرتها وعن نظرتها للحياة والكون والإنسان . وزيادة في إحكام الخطة وحرصاً على استمرار الحرب ضد الإسلام ، فقد عهد المستعمرون الغزاة إلى هذا الجيل الذي رُبي في محاضنهم وغُذي بلبانهم وأُشرب قلبه حبهم وتقديسهم عهدوا إليه بإدارة البلاد ووضعوا مقدرات المسلمين وبلادهم تحت تصرف هؤلاء فكان منهم القادة والسادة ومنهم الوزير والأمير وتسرب الغزاة إلى دماء هؤلاء وعقولهم وأفكارهم وأصبحوا يحاربون المسلمين بهم ومن خلفهم ، وتكفل هؤلاء المستعمرون الجدد من أبناء البلاد بتنفيذ مخطط أسيادهم وآبائهم الروحيين والسهر على تعاليمهم وأفكارهم في بلاد المسلمين وأصبحوا وسيلة لكل شر يريد الأعداء إلحاقه بالمسلمين وبعد خروج الغزاة الظاهرين المكشوفين من أكثر بلاد المسلمين أصبح هؤلاء الغزاة المقنعون والمستترون من أبناء المسلمين هم العدو الأكبر لهذه الأمة لأنهم يقومون بدور العدو في محاربة الإسلام وزيادة ويتفننون في ذلك بما لا يستطيع العدو الظاهر أن يفعله فجميع مظاهر الغزو الفكري تتمثل فيهم وجميع وسائله في أيديهم ، بل حماة ذلك الغزو وحملته وطلائعه في بلاد المسلمين وعلى أيديهم يتوالى خروج المسلمين عن دينهم وارتداد أبنائهم ، وتنشأ الأجيال الجديدة التي لا تعرف الإسلام إلاّ تاريخاً مشوهاً . وينفذ مخطط الأعداء بحذافيره والذين درسوا في مـــدارس المبشرين والمستعمرين

ونشأوا على مناهجهم ، يضعون للمسلمين برامج ومناهج على غرار مدارس المبشرين والمستعمرين والحلقة متصلة هكذا . وانسلاخ المسلمين عن دينهم وخروجهم عن عقيدتهم وتنكرهم لحضارتهم مستمر هكذا أيضاً .

وسائل الإعلام : ومما يلي برامج التعليم في كونها وسيلة من أكبر وسائل الغزو الفكري أجهزة الإعلام على اختلاف أنواعها من صحافة وإذاعة وتلفزة ودور عرض (السينما) . فإن الأيدي الخبيثة الأثيمة من أعداء الإسلام قد وضعت هذه الأجهزة في أيدي ربائبها وغلمانهما وصنايعها ممن لا يقلون حرباً للإسلام عن أسيادهم ، وهكذا أصبحت أجهزة الإعلام في معظم بلاد المسلمين كمخدر دائم يُستعمل لصد الناس عن دينهم ، ولا دور لها إلاّ تحطيم المثل والقيم والأخلاق والتحريض المستمر ليلاً نهاراً على الفاحشة ، وعلى مخالفة الآداب ، وعلى ازدراء الفضائل والخروج على كل عُرف صالح تعارفه الناس . والصنم الذي تعبده أجهزة الإعلام في معظم بلاد المسلمين وتدندن حوله وتسبحه وتقدسه ، هو صنم الجنس فقلما تنشر كلمة أو تُعرض صورة أو تُذاع أُغنية إلا وهي عن الجنس وللجنس وحول الجنس ، والإلحاح المستمر حول هذا الموضوع في كل وقت ومناسبة وبكل وسيلة قد سدّ على الناس الطرق وألجأهم إلى الإنغماس فيه إلجاء فإذا تناولت مجلة فصورها وأحاديثها تنطق بالفاحشة وتتحدث عن الحب وإذا فتحت المذياع فالأغاني الماجنة المائعة تصك آذانك بالعهر المذاب وتُصلي للحب ، وإذا نظرت إلى الرائي (التلفزيون) فهناك الحياة الحب والحب الحياة وكل شيء عن الحب شاخص أمامك وماثل بين يديك هذه هي الحقيقة والواقع بالنسبة لمعظم بلاد المسلمين التي وقعت فريسة في أيدي المرتدين من أبنائها والذين يستوردون المبادىء والعقائد والشرائع والتعليمات من الأعداء ثم ينفذونها بدقة وأمانة .

تنظيم القوى الكافرة والغازية والإهتمام بمراكز القوة : حتى يستمر تيار الغزو الفكري في اجتياحه لا بدّ من الأخذ بالأسباب التي تُبقي عليه وتضمن له النمو والإزدهار وذلك باحتلال مراكز القوة كالجيش والحرص على أن لا تتسرب إليه روح مؤمنة والسهر الدائم على أن يكون حارساً

أميناً للأفكار الدخيلة والمناقضة للإسلام أو لثمار الغزو الفكري ثم تنظيم جنود الغزو وعملائه في منظمات حزبيـــة تعمل على أُسس مدروسة ومنسقة وتغزو جميع مرافق الدولة المهمة وتضمن بذلك الإشراف المباشر على سير الغزو وتطمئن على سلامة الخطة وحُسن سير العمل وتُنفذ تعاليمها بطريقة منظمة دقيقة يعرف فيها كلٌ دوره في المعركة ومسؤوليته في العمل فلا تضيع التبعات ولا تُفقد المسؤوليات .

هذه باختصار أهم مظاهر الغزو الفكري ووسائله ، وقد عملت هـــذه الوسائل مجتمعة على إيجاد جيل الردة الذي قُدّر لنا أن نشاهده . أجـــل لقد تضافرت جهود هذه الوسائل على اقتلاع الإسلام من قلوب أبنائه وعلى قتل روح الجد والرجولة والعمل في جموع شباب هذا الجيل ، الذي يشكو من تمزق في ضميره واضطراب في تفكيره وصراع في نفسه وقلق قاتل في حياته كلها . شباب هذا الجيل تربة خصبة أُلقيت فيها بذرة خبيثة فكان هذا النبات النكد وكان هـــذا الفصام وهذا الإزدواج في الشخصية بين الآثار الإسلامية في النفس وفي البيئة وبين بريق الغزو الجديد وزخارفه ومغرياته ومعطياته للنفس والهوى والشباب

إن روح الحضارة الجديدة الخبيثة قد لوثت فطرة الشباب المسلم وطمست معالمها النظيفة وانتزعت من قلبه مثله العليا وتعشقه للتسامي وأشواقه للخلود لتعطيه الإخلاد إلى الأرض والنزوع إلى سفاسف الأمـــور والركون إلى الشهوات والملذات والإنكباب عـــلى مراتع الرذيلة ومباذل الأخلاق ، إن هذاالأفيون الذي جاءبهالغزاة والمغلف بغلاف المدنية والحضارة جرّد شبابنا من كلّ مقوماته وبنى له معبداً ضخماً هائلاً عملت في تنميقه وتزيينه أمهر المهرة من الخبراء والفنيين ألا وهو معبد الجنس ووُضع في داخله صنم يُعبد وهو الحب ، وراح يدعو إلى الدخول في الدين الجديد بكل ما أُوتي مـــن قوة وبكل ما يملك من وسائل جبارة حتى جعل الجنس كل شيء في حياة شباب هذا الجيل ، هذا الشباب الذي يعاني ظمأ روحياً وسغباً نفسياً واختلالاً كبيراً في السلوك بين متطلبات روحه وجسده . وبإفساد هذا الجيل على هذه الشاكلة ووضع المخطط لإفساد الأجيال المتمبلة نال العدو منا كل ما يريد . وأكبر دليل على ذلك أن هذا الشباب المنخور المهزوز المتهالك على الملذات

والأسير للشهوات حينما وضعه موجهوه وأسياده في مراكز القيادة والتوجيه عبث بمقدرات البلاد والعباد وأهلك الحرث والنسل ، وأهدر الكرامات وانتهك الأعراض وصادر الحريات ، وكان وجوده وصمة على الإنسانية ، والحيف الذي تعرضت له البلاد على أيدي هؤلاء كان أعظم مما تعرضت له على أيدي الصليبيين والتتار .

تلك هي أهم مظاهر الغزو الفكري ووسائله ، فعلى الذين لا يزالون على إيمانهم بالإسلام وولائهم له وانتمائهم الحقيقي إليه أن ينتزعوا هذه الوسائل من أيدي الغزاة الجدد ويجردوهم بذلك من سلاحهم الذي به يدمرون ويقضوا بالتالي على مظاهر هذا الغزو قبل أن تجتاحهم فلو له .

مـــوكب

لما قدم عمر بن الخطاب الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف، فتلقاهما معاوية فى موكب عظيم فجاوز عمر حتى أخبر به فرجع اليه فلما قرب منه نزل اليه فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشى الى جنبه راجلا ، فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر : لقد أتعبت الرجل ، فأقبل عليه فقال : يا معاوية أنت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذاك ، قال : لأننا فى بلد لا نتمنع فيه من جواسيس العدو ولا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك أقمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت . فقال : لئن كان الذى تقول حقا انه رأى أريب وان كان باطلا فانه خدعة أديب وما آمرك به ولا أنهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه . فقال : لحسن موارده جشمناه .

العقد الفريد / ح ١

مقتطفات من كتاب الثقلاء

للشيخ محمد بن ناصر العبودي
الأمين العام للجامعة

كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا استثقل رجلاً يقول : اللهم اغفر لـه ، وأرحنا منه . وكان الإمام الأعمش – واسمه سليمان بن مهران – إذا رأى ثقيلاً قال : « رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العذابَ إنّا مُؤمِنُونَ » .

وقيل للأعمش : لمَ عمشت عينيك ؟ قال : من نظري إلى الثقلاء !

وذكر اليوسي أن بعض الثقلاء استأذن على ابن المبارك ، فلم يأذن له ، فكتب إليه ذلك الثقيل :

هل لذي حاجة إليك سبيل ... لا طويل قعوده بل قليل

فأجابه ابن المبارك :

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل ... وقليل من الثقيل طويل

وقال سفيان بن عينية : قلت لأيوب السختياني : ما لك لا تكتب عن طاووس؟ قال : أتيته فوجدته بين ثقيلين .

(١) ذكرنا تخريج المقتطفات مع نسبتها إلى مصادرها المطبوعة والمحفوظة في مكانها من الكتاب الذي لا يزال مخطوطا .

ونُقل عن السدي المفسر أنه قال : لقد ذكر الله الثقل في القرآن في قوله تعالى : « فَإذا طعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا » !

وكان لابن سيرين رحمه الله خاتم مكتوب عليه « أبْرَمْتَ نقم . . فإذا استثقل إنساناً دفعه إليه !

وذكر الزمخشري أن الشعبي رحمه الله عاده ثقيل ، فأطال الجلوس ثم قال ما أشدّ ما مرّ عليك في مرضك ؟ فقال الشعبي : قعودك عندي !

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير المعوذتين : ومنهم من مخالطته حمى الروح ، وهو الثقيل البغيض الذي لا يُحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يُحسن أن ينصت فيستفيد منك ، ولا يعرف نفسه ، فيضعها في منزلتها ، بل انه إن تكلم فكلامه كالعصا تنزل على قلوب السامعين ، مع إعجابه بكلامه وفرحه به . فهو يُحدثُ من فيه كلما تحدّث . ويظن أنه مسك يطيب به المجلس ، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يُطاق حملها ، ولا جرّها على الأرض . ثم قال ابن القيم :

ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : ما جلس إلى جانبي ثقيل ، إلاّ وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر . ورأيت يوماً عند شيخنا — يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية — رجلاً من هذا الضرب ، والشيخ يتحمله ، وقد ضعفت القوى عن حمله ، فالتفت إليّ وقال : مجالسة الثقيل حُمّى الرّبْع . ثم قال : لكن قد أدْمَنَتْ أرواحنا على الحمى فصارت لها عادة ، أو كما قال :

وحدّث العباس بن بنان قال : كنا عند أبي بكر بن عيّاش يقرأ علينا كتاب مُغيرة ، فغمض عينيه ، فحركه أحدنا وقال له : تنام يا أبا بكر ؟ فقال : لا ، ولكن مرّ ثقيل فغمضت عيني !

وأنشد الخفاجي عن الزاهد بن عمران :

إلْمامُ كلّ ثقيل قد أضرّ بنا نريد نَقْصَهُمُ ، والشرّ يزداد
ومن يَخفّ علينا لا يُلمّ بنا وللثقيل على الساعات تـرداد

وروى محمد بن خلف بن الززبان عن عمر رضي الله عنه أنه قال : مَن أمِنَ الثقل فهو ثقيل .

وروى بسنده أيضاً عن علي بن الحسن قال : كان أبو أُسامة ، إذا أبصر ثقيلاً قال : قد تغيمت السماء !

وعن ابن سنان القطان قال : كان وكيع إذا جلس إليه الثقيل ، غمض عينيه ، وقام عنه !

وعن عبد الله بن شبرمة ، قال : سمعت الشعبي ينشد :

ومن الناس من يخفّ ومنهم كرحى البزر رُكّبتْ فوق ظهري

وذكر عبيد الله بن عمر أن يحيى بن سعيد — رحمه الله — جاءه مرة رجل يستثقله ، فقال لي : من بالباب ؟ فقلت : فلان ، فصكّ رأسه بأصابع يديه كلها ، وقال : يا أبا سعيد ، جَبَلٌ ، جَبَلٌ ! فلما انصرفت مررت بالرجل ، وهو جالس على الباب فلا أدري أذن له ، أم لا .

وروى سلمة بن شبيب قال : سمعت أبا أُسامة يقول : إيتوني بِمُسْتَمْلٍ خفيف على اللسان ، خفيف على الفؤاد ، إيّاي والثقلاء ، إيّاي والثقلاء !

كلمة بليغة

يحكى أن الفيلسوف الإغريقي (ديوجيتر) ارتفع فوق هضبة عالية وصاح : يا أيها الناس . فلما سارعوا إليه واجتمعوا حوله . هزّ رأسه أسفاً وقال : لما أناديكم .. إنما أنادي الناس .

كتاب : يا أيها الإنسان

رسائل لم تحملها البريد

بقلم الشيخ عبد الرؤوف اللبدى

المدرس بكلية الشريعة

تلميذي القديم وزميلي الجديد :

كتبت إليّ أنك قد انتهيت من دراساتك العليا ، وأنك على وشك أن تصبح زميلاً جديداً في ميدان التعليم ، هنيئاً لك ذاك النجاح ! ومرحباً بهذه الزمالة الجديدة !

سألتني أن أمدّك بشيء من النصح ، وأن أزوّدك ببعض التجارب = تجارب الآخرين قلما تفيد أيها الزميل الجديد، ومع ذلك فلن تراني عليك ضنينا غير أني أحب أن أقول شيئاً قبل أن أمضي بعيداً في هذه الرسالة ، أحب أن أقول لك : إبحث عن عمل آخر إذا كنت لا تحبّ التعليم ، ولا تجد فيه ريّ ظمأ ، ولا قرّة عين .

أنت مقبل على عمل شاق يرهق الجسم والعقل ، ويشغلك النهار وزلفاً من الليل ، فإذا لم تكن لديك رغبة صادقة فيه ظلمت نفسك ، وظلمت كثيراً من طلاب العلم معك .

إن إخفاق كثير من الناس في أعمالهم والوظائف ، مردّه في كثير من الأحوال إلى أنهم لم ينالوها عن رغبة واقتدار ، وإنما هي أشياء عثروا بها في ظلمات الليل ، أو عثرت بهم وهم عنها غافلون .

سرّني أيها الزميل الكريم ما نلته من نجاح ، وسرّني أن تصبح من ذوي الشهادات العالية ، ولعلّك نشرت هذا في الصحف ، وعلّقت وثائقه

على جدران غرفة الإستقبال ، ليراه الزائرون ، وليذيعوا به في المجالس .

ليس بالغريب أن يشعر الإنسان بالزهو حين يصبح شيئاً مذكوراً بعد أن لم يكن ، غير أني لا أحب أن تزهو بهذا على عباد الله ، وأن تقف أمام طلابك نفّاشاً تفتح به فاك ، وتجحظ له عيناك ، وتميل برأسك ذات اليمين تارة ، وذات اليسار تارة أخرى .

قد تجلب عليك الوظيفة أموالاً ما كنت لتجدها أيّام كنت طالباً ، فتزيّن لك نفسك أن تظهر شخصيتك عن طريق البزّة الأنيقة ، والحذاء اللامع ، والملابس الفارهة ، وأن تخرج على الناس يوماً بعد يوم في حلة جديدة ، تميس فيها كأنك في ليلة الزفاف . ألا ساء ما تزيّن لك نفسك ! وبئست طريقة تلك الطريق !

لا يخدعنك ما حصلته في الجامعة من علم عن مواصلة الإطلاع والقراءة ، فأنت لم تحصل من العلم إلاّ قليلا ، وهذه الشهادات التي حملتها بعد سنوات طويلة لن تغنيك شيئاً أمام طلابك إذا دارت رحى النقاش ، وناشتك أسئلتهم من كل جانب ، فيفلت الزمام من بين يديك ، وتتخلف عن مركز القيادة ، وهيهات أن تجد المقيل من هذا العثار !

أرجو ألا تسلك سبيل الفرار في غرف التدريس ، والفرار أيها الزميل الجديد ألوان شتى ، وطرق مختلفة ، لا أريد أن أقصها جميعاً عليك ، ولا أريد أن أعددها لك :

يشق على بعض المدرسين أحياناً أن يمضي قُدماً في مناقشة الموضوع وبسط ما فيه من مسائل ، فيتسلل على حين غفلة من الطلاب ، أو على حين يقظة ، ويعطف بعنان لسانه إلى موضوع آخر يلذ لكثير من الطلاب سماعه ، فيحدثهم عن ذكرياته : ذكريات الطفولة ، وذكريات المدرسة وذكريات الجامعة ، وذكريات الحياة ، وما وقع له فيها من طرائف ، وما شاهده فيها من أعاجيب .

ولعلك سمعت أو رأيت في أثناء جلوسك على مقاعد الدراسة ، وأنت تودع مدرساً وتستقبل آخر ، لعلك سمعت أو رأيت من يحدث تلاميذه

أخباراً خاصة عن أسرته وأبنائه وذوي قرباه ، كأنما الفصل صديق حميم ، فهو يفضي إليه ببنات صدره وأفراح قلبه .

لا أريد أن أذهب أبعد من هذا خشاة أن أنسى شيئاً أنا حريص على أن أحذرك منه ، وأخاف أن تقع فيه ، ذلك أن يجرّك الطلاب إلى الحديث عن السياسة ، أو تجرّهم أنت إلى الحديث عنها ، فتشبّ في الفصل « حرائق » لا تستطيع إطفاءها حتى آخر العام ، ويفسد عليك من الأمر مالا تجد إلى إصلاحه سبيلا .

أحب أن تلتزم موضوع الدرس ، وألاّ تحيد عنه ، وإذا دهمتك ضرورة عابرة ، أو غلبتك مناسبة طارئة ، وقفت عندها قليلاً وقوف العابر العجلان .

الحذر الحذر أن تتصيد المناسبات لتلقي عن كاهلك أثقال الدرس ، وتخرج عن الجادة إلى الشعاب والأوديـــة ! !

أقبل على طلابك كما يقبل الصباح ، يحمل النشاط والحياة والنور ، فيقبلوا عليك مستيقظين واعين ، ويسيروا معك على الطريق شوطاً بعيداً ، دون أن يدركهم فتور ، أو يغشاهم النعاس ، يسألون فتجيب ، وتسأل فيجيبون ، وتكون من وراء ذلك حركة ذهنية دائبة ، لكم فيها غنم كبير ومنافـــع .

لا تقبل عليهم كما يقبل الليل ، ثقيل الوطأة ، بطيء الخطا ، تمشي كأنما رجلاك شدتا بالسلاسل ، يقرءون في وجهك الخذلان والفتور والتكلف ، تكلمهم بلسان عاثـر ، وفكر مشرّد ، غير آبهٍ لما يجري من حولك ، فيعقد الطلاب الندوات الصغيرة في فصلك على غير موعد ، ويتخذون القرارات وأنت لا تدري ، ويقع فريق منهم في نوم عميق يحلمون فيه أنْ قد مرضت ، وأخذت إجازة طويلة للأمد .

كن جريئاً واسع الصدر ، وتقبّل أسئلة الطلاب العلمية ، ومناقشاتهم في موضوع البحث ، بنفس راضية ، وقلب مطمئن ، وإذا رأيت في غمرة الحوار والنقاش رأياً من الآراء على صواب ، ولكنه مخالف لرأيك ، فلا

تسفهه ، ولا تحاول التقليل من شأنه ، غروراً منك ، وتفرداً بالصواب ، قابل ذلك بالإعتراف والثناء والتشجيع ، ولا يغلبنك على نفسك الهوى .

لست معصوماً من الخطأ ، فلا يعظمنّ على نفسك الرجوع إلى الحق إذا نبّهك أحد إليه ، أو تبيّن لك الأمر فيما بعد ، ولا حاجة إلى أن يحمرّ وجهك من خجل ، أو يصفر من خوف ، أو تضطرب ساقاك من تحتك ، وطّن النفس على هذا منذ يومك الأول ، فإنه لا بد ملاقيك .

لا يحملنّك خلاف الرأي بينك وبين طلابك ، ونقاشهم لك على الحقد والثأر ، إنهم طلاب علم ، قد يوسوس إليك الشيطان أنّ أحداً منهم يريد أن تزلّ بك القدم ، فلا تستجب إلى تلك الوساوس ، وظنّ بهم خيرا ، وكن لهم رائد علم ، لا قائد كتيبة .

لا ترفع بينك وبين طلابك جداراً من الكبرياء والتعاظم ، لتحول بينهم وبين أن يسألوك عن غامض المسائل ، كن أخاً لهم ، ودعهم يشعرون بهذه الأخوة ، فلا يتجافون عن سؤال ، ولا يمسكهم الحياء عن مناقشة .

إيّاك وأن يتولاك الكذب والغرور !! فتجيب عما تعلم وما لا تعلم ، كن صريحاً في شجاعة ، وقل لا أعلم فيما لا تعلم ، إنك إن تجبهم عن جهالة فسوف يتكشّف أمرك ذات يوم ، ويبرح الخفاء ، وتضيع الثقة بينك وبين طلابك ، وتفقد أعز ما يملكه المدرس في دنيا التعليم .

الطلاب في غرف التدريس سواسية ، فليس فيهم صديق توادّه وتحابيه ، ولا عدو تحادّه وتجافيه ، أقبل بوجهك على القريب والبعيد ، وتقبل سؤال الغبيّ والفطن ، وكن شجرة دانية القطوف ، طيبة الجنى .

ماذا سيكون نصيبك هذا العام ؟! وما الذي ستكون عليه غرفة المدرسين في معهدك ؟! أتراها تكون كنافخ الكير ؟! أم تراها تكون كبائع العطر ؟! ومهما يكن من أمر ، فأفضل مكان تأوي إليه في حصص الفراغ هو المكتبة ، هنالك تنجو من الأحياء ، وتخلص إلى جماعة من الموتى ، ماتت معهم الأحقاد والأطماع وتفاهات دنياهم ، وتركوا وراءهم علماً ينفع الناس .

أنت لا تزال في ربيع العمر وشرخ الشباب ، فلا تذهبنّ ساعات فراغك أباديد ، وظّف شيئاً من الفراغ لعمل أدبيّ ، أو دراسة علمية ، واترك في عالم الأدب ودنيا العلماء شيئاً ذا بال .

لا تنتظر إلى أن تعضك الشيخوخة بأنيابها ، ويتقوس الظهر من هرم ، فليست الحياة ساعة تديرها في المعصم ، ولا ثوباً تلبسه إذا شئت ، وتخلعه حينما تريد . .

يؤسفني أيها الزميل الجديد أني لم أبلغ بعدُ ما أردت ! إني مشفق عليك ، وأخشى أن أفتّ في عضدك ، فتخلد إلى أرض الخمول ، وتبقى على الشاطىء نفاية بحر ، وأنا الذي أريد أن تحلق في الأجواء البعيدة ، وأن تركب الأمواج غير خائف .

لقد عهدتك ذا قلب سليم ، وعزيمة تفري ، وغايات تريد بها وجه الله . فدعني إذن أكتب إليك ما تبقى من هذه الرسالة :

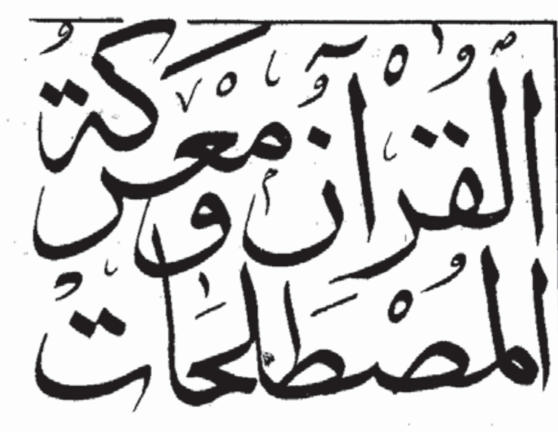
الحساب في الدنيا ليس كحساب الآخرة ، حساب الآخرة « كل نفس بما كسبت رهينة ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ولا تزر وازرة وزر أخرى . » أما الدنيا فلها حسابات أخرى لم يكتبها رقيب عتيد ، لا أريد أن أقدمها إليك ، فسوف تراها رأي العين وتلمسها بالأصابع ، ستطعمها فتذوقها مرة ، وتشمها فتنشقها كريهة ، وتسمعها فتصكّ الآذان .

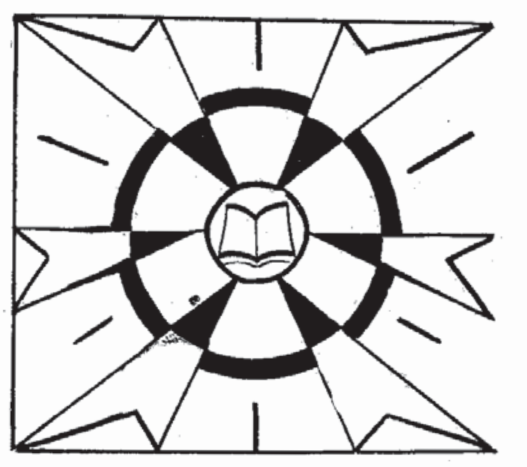
لا تحزن أيها الزميل الجديد إن خفت بك الموازين في الدنيا وخفّت بإخوانك المدرسين ، وثقلت موازين ذوي الجهالة في بعض الميادين ، وإذا رأيت الناس من حولك أسرعوا وقد أبطأت . فلا تقلّب كفيك على ما أنفقت من سنوات طويلة وجهد جاهد في سبيل العلم ، فعند الله الجزاء الأوفى !

ثروتك في هذه الدنيا ما يضيء في رأسك وصدرك ، وهذا المال الذي ما يكاد ينزل في جيبك حتى ينوي الرحيل .

إصبر ! إصبر صبراً جميلا ! إصبر كما صبر أُولوا العزم من المدرسين ! طريقك وعر طويل ، وزادك ذو غصة وقليل ! فاستعن بالله وتوكل عليه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرؤوف اللبدي





بقلم الشيخ أحمد حسن المدرس
بالمعهد الثانوي

تخوض أمتنا معركة حاسمة في جميع مجالات الحياة ، ولا سيما في ميدان الفكر والثقافة ، حيث تستعمل في هذه المعركة كل أنواع الأسلحة الفتاكة ، التي تهدف إلى بلبلة الأفكار ، وإشاعة الفوضى والإنحلال ، والإنسلاخ من العقيدة والتراث والتاريخ ، والإتيان على بنيان هذه الأمة من القواعـــد . .

ومن أخطر هذه الأسلحة ، سلاح المصطلحات والشعارات ، الذي طرحه الغرب (١) للتداول في عالمنا الإسلامي مع بدء الغزو الفكري ، ولم يمض كبير وقت ، حتى شاعت هذه المصطلحات وذاعت بعد أن رددتها وسائل الإعلام ، وعممتها الصحف والمجلات ، وأقحمت في صلـــب المناهج والكتب الدراسية وأصبحت اليوم عملة دارجة ، تطالعك بها الأغاني الشعبية ، وأحاديث الدهماء ، فضلاً عن أنصاف المتعلمين والمثقفين ، الذين يلهجون بذكرها — حين يستريحون وحين يسرحون — ليثبتوا للناس أنهم بلغوا الحلم ، وآنسوا من أنفسهم الرشد !

وتأتي خطورة هذه المصطلحات والشعارات ، من أن كل مصطلح أو شعار ، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشجرته الفكرية التي يمثلها ، ويتغذى منهـا ، ويعيش عليها ، وبالتالي فهو حينما

(١) المقصود بالغــرب هنا ليس الاصطلاح السياسي الذي يشـمل دول أوروبا الغـربية وانما المقصود به (المصطلح الحضاري) الذي يشمل الكتلة الشرقية والغربية باعتبار ان الفكر الاشتراكي غربي في أصوله وجذوره وان الشيوعية لم تكن سوى رد فعل للراسمالية الغربية وكلاهما تسيران في خط تاريخي واحد .

يطرح للتداول في مجتمع جديد ، لا بدّ أن يحمل معه رصيده وفلسفته وتاريخه ولا بد أن يلقي بظلاله وإيحاءاته وقيمه في هذا المجتمع الذي يُحسن استقبال الوافد الجديد — بحكم تقاليد الضيافة العربية — ويخلي له البيت ، ويرفع من طريقه العقبات ، إيثاراً لمبدأ التسامح الديني الذي عُرفنا به !! ونتنـــازل — بسماحة حاتم — عن مصطلحاتنا وشعاراتنا ، ليخلو الجو للضيف الثقيل ، الذي يبيض ويفرخ ، ويستوطـــن ويستعرب ، وعلى المصطلح الإسلامي أن يغادر أرضه وبلاده ، ليعيش لاجئاً ذمياً في بلد آخر ، أو يكتفي أن يعيش في زاوية ميتة من زوايا التاريخ علماً بأنهم يلاحقونه حتى في مثل هذه الزاوية ، ويلبسونه لباساً جديداً ، ويفسرونه تفسيراً مشوهاً حتى يفقد حرارته ، ويخبو ضوؤه ، وتسكن إشعاعاته ، ثم يضربون حوله ستاراً حديدياً يمنع الناس من الوصول إليه ويمنعه من أن يلقي إليهم بشهاب قبس أو جذوة من النار . .

وتقوم المعركة داخل المجتمع ، إذا شعر العقلاء بخطورة هذا المصطلح ، حيث ينبهون الناس إلى حقيقته وأهدافه وأنه ليس صديقاً زائراً ، وإنما هو غازٍ فاتح ، وعدو فاتك . .

ويستنجد المصطلح بالطابور الفكري الخامس ، الذي يهب للوقوف إلى جانبه ، ويشهر سلاحاً آخر مـــن المصطلحات والشعارات ، فهؤلاء الذين يحاربون المصطلح الجديد : رجعيون !! برجوازيون !! خونة !! عملاء !! رأسماليـــون !! ديماغوجيون !!.. ثيوقراطيون !! إمبرياليون !!.. إلى هذا المسلسل الأجنبي ..!!

ويحفـظ العـــوام والدهمـــاء ، و (البروليتاريا) هذه المصطلحات ، من كثرة ترديدها ، على مسامعهم ، ويظنون أنهم إذا ما رددوها ، فقد صاروا في عداد العلماء ، واجتازوا بذلك مرحلة الأمية ، وأصبح بإمكانهم أن يتحدثوا للناس ويخطبوا في المجالس والإحتفالات ، ويناقشوا في المراكز والمنتديات ، ويقدموا لنا نظريات في بناء الدولة والمجتمع ، ويقودوا الأمة بمفكريها وعقلائها إلى هذا الدرك الهابط والمستنقع الآسن ، حيث يسود الجهل وينزوي العلم ، وتنقلب القيم ، وتختلط المفاهيم ، فتضيع الحقائق وتنتشر الفوضى وينحل المجتمع ، فيقتل الناس بعضهم بعضاً ، وتسود شريعة الغاب ، فتطل الذئاب ، وتنبح الكلاب وينعق البوم ، ويسود الوجوم ، ويسجل التاريخ نهاية أمة . .

... ومن هنا كان علينا أن ننتبه لخطر هذه المصطلحات فهي بمثابة الجسم الغريب الذي يدخل جسم الإنسان ، فإما أن يطرحه هذا الجسم ، وإما أن يقتل هذا الجسم ، أو يضعفه ويمرضه ، وليس هناك حل وسط ، ولا نستطيع نحن أن نقف في وجه هذه هذه المصطلحات موقفاً سلبياً فقط بل لا بدّ من موقف إيجابي أيضاً ، بل هو الأصل الذي نعول عليه ، وهذا الموقف الإيجابي يعني أن نطرح مصطلحاتنا الإسلامية بقوة للتداول ، ويفضل أن تكون هذه المصطلحات مصطلحات قرآنية أولاً قبل كل شيء ، ذلك أن المصطلح القرآني ، هو المصطلح الرباني الذي لا يوازيه أي مصطلح آخر سواء من حيث الصياغة والمحتوى ، أو من حيث الدقة والتحديد ، أو من حيث الشيوع والذيوع ، والإقتصار على المصطلح القرآني — إن وجد — يوفر علينا كثيراً من المشاكل التي تنتج عن المصطلحات الإجتهادية التي تختلف باختلاف المجتهدين والتي تؤدي إلى تعدد المصطلحات لمفهوم واحد ، مما يضعف هذه المصطلحات ، ويسلبها القوة والقدرة على الصمود في وجه المصطلحات الغربية ، كما يؤدي إلى نوع من البلبلة في الأفكار واختلاط المفاهيم بين المسلمين أنفسهم . .

ولا تزال أمتنا تعاني من كثير من المصطلحات — التاريخية — التي دخلت إلى ثقافتنا وتراثنا ، ولم تكن مصطلحات قرآنية ، مما أثار الخصومات والمعارك الكلامية التي قتلت وقت المسلمين ، وشغلتهم عن الجهاد ، وفرقتهم شيعاً وطوائف ، « كل حزب بما لديهم فرحون » .

وإذا أخذنا على سبيل المثال مصطلح « تصوف » . . هذا المصطلح الذي ليس قرآنياً والذي بدأ في العصر العباسي حينما أطلق على جماعة من الناس قاموا يحاربون الترف والنعيم الذي ساد الدولة العباسية ، ويدعون إلى الزهد في هذه الدنيا الفانية . . ثم تطور ليعني طريقة في السلوك والتربية والأخلاق ، ثم دخلته مفاهيم وأفكار هندية ونصرانية وأعجمية تخالف عقيدة الإسلام وأفكاره ، ثم ليصبح بعد ذلك نظريات فلسفية تقول بالحلول والإتحاد ووحدة الوجود . . ثم ليصبح طرقاً متعددة لها أول وليس لها آخر ، تملأ العالم الإسلامي ، وكل واحدة منها تعتقد أنها الفرقة الناجية ، وأن الحق لا يجاوزها ، وتتهم غيرها بالإنحراف

والتسرق . . وعاش المسلمون فترة طويلة من تاريخهم يتنابزون بالألقاب ، ويأكل بعضهم لحم بعض وما تزال آثار هذه الحياة تلوّن بعض أنحاء العالم الإسلامي . .

فلو أننا عمدنا إلى مصطلح قرآني ، لنطلقه على الحالة الأولى التي بدأت في العصر العباسي ، وهي دعوة الناس إلى إيثار الآخرة على الدنيا ، وتحذيرهم من الترف والنعيم ، لم نصل إلى ما وصلنا إليه من نتائج وآثار ، ما نزال نعاني منها حتى يومنا هذا . . ولو فتشنا في القرآن الكريم عن مصطلح لمثل هذه الحالة لوجدنا — مثلاً — كلمة « الإحسان » يمكن أن تؤدي هذا المدلول ، دون أن تدخل تلك الأفكار الغريبة التي دخلت تحت كلمة « تصوف » .. ذلك أن الكلمات القرآنية يحدد معناها اللغة ويعطيها مفهومها القرآن ، فلا مجال في ذلك للزيادة والنقصان ، ولو حاولنا أن نتبين مفهوم القرآن لهذا المصطلح « الإحسان » لوجدناه كما يلي :

« إن المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم . . » كما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل ، حين سئل عن « الإحسان » فقال : الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك .

وفي مواجهة المصطلحات الغربية الوافدة ، لا بد لنا من أن نعيد طرح مصطلحاتنا القرآنية بقوة — والتي تمتاز بالإضافة لما قدمنا — بأنها تحمل طابع العقيدة دائماً ، حيث تعطيها الأولوية في كل شيء مما يجعلها منسجمة مع نظرتنا العامة إلى الحياة ، والتي نستمدها من القرآن نفسه ، فلا نقع في تناقض بين عقيدتنا ومصطلحاتنا — كما هو حادث اليوم بعد فشو المصطلحات الغربية — حيث نشاهد الإضطراب الذي يعم المسلمين جميعاً ، بعد أن أصبحت هذه المصطلحات بدهيات مسلمة ، وحقائق مقررة ، عند العوام ، والخواص ، مما حدا ببعض المفكرين إلى استعمال هذه المصطلحات ، وإعطائها مفهوماً إسلامياً ، وقطعها عن جذورها التاريخية والفكرية ، إرضاءً لهذه الجماهير التي سحرتها هذه المصطلحات والشعارات ، وبدلاً من أن تكون هذه المصطلحات جسراً يعبره المنادون بها إلى الإسلام — كما كان يظن — غدت جسراً يعبره المسلمون

إلى تلك الأفكار والقيم التي تمثلها هذه الشعارات ، لأن الجسر الذي يكون صالحاً للذهاب ، فهو صالح للإياب أيضاً ، خاصة وقد جاءت هذه الدعوة في ظروف غير مناسبة ، حيث كانت تلك الشعارات والمصطلحات قد وصلت إلى الحكم وأخذت طريقها للتنفيذ ، وعبرت بالمسلمين ذلك الجسر إلى الجاهلية .

وبعد أن خفت حدة المعركة قليلاً ، بانتصار موقوت للمصطلحات الجاهلية الحديثة ، فعلى رجال الفكر الإسلامي أن يراجعوا أنفسهم ، وينظروا في ما قدموا ، ويتأملوا كثيراً في ما حدث ويدفعوا بالمصطلحات القرآنية للناس من جديد ، محددة واضحة متميزة ، مقارنة مع المصطلحات الجاهلية مع بيان الفروق الكبيرة ، وتحطيم الجسور المقامة ، ووضع الناس أمام احتمالين لا ثالث لهما : إما الإسلام وإما الجاهلية ، « لتستبين سبيل المجرمين » ومن ثم .. تستبين سبيل المؤمنين .

وإذا ما حاولنا تبيّن بعض هذه المصطلحات التي اقتحمت علينا أسوارنا وغدت مدار حياتنا وحاولنا تفهمها وإدراكها ، وعقدنا مقارنة بينها وبين مصطلحاتنا القرآنية ، فإننا نجد الفروق الشاسعة التي ليست هي في الواقع إلاّ فروقاً بين ثقافتين ودينين ، وحضارتين ، أي بين إسلام ، وجاهلية.

مصطلح الوطنية :

نأخذ على سبيل المثال : مصطلح « الوطنية » و « الوطن » و « المواطن » و « الوطني » ، والذي لم يفطن له أحد فيما أعلم .

هذا المصطلح لم يكن معروفاً في تاريخنا ، وكلمة « مواطن » لا مدلول لها في المعجم الإسلامي ، لأن الولاء في الإسلام للعقيدة ، لا للأرض ولا للقوم ، ولا لغيرها من الإعتبارات الأخرى التي دخلت ثقافتنا حديثاً بتأثير الغزو الفكري الأوروبي حيث استلهمت من أوروبا الغربية خصوصاً فرنسا وانكلترا (١) ولو أننا رجعنا إلى القرآن الكريم لاستخلاص المصطلح الإسلامي لم نجد ذكراً للوطن ولا للمواطن ، وإنما يستعمل القرآن كلمة أخرى هي « الدار » — معرفة بالألف واللام تارة ، وبالإضافة تارة أخرى — فمن الأول قوله تعالى في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في معرض حديثه عن

(١) انظر في هذا كتاب (برناردلويس) : الغرب والشرق الاوسط الفصل الرابع ص١٠٥ـ١٤٦

الأنصار « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا » ومن الثاني حديثه عن المهاجرين حيث يقول : « الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله . . . » ومن ذلك قوله مخاطباً بني إسرائيل : « سأريكم دار الفاسقين » . .

فالعقيدة في الإسلام قبل « الوطن » أو « الدار » وفي حالة التعارض على المسلم أن يهاجر من بلده ويترك داره « الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قال : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . . » ومن هنا كان المصطلح الإسلامي « دار الإسلام » مصطلحاً قرآنياً — بالمعنى لا باللفظ — تبرز فيه العقيدة قبل الأرض ، وتستمد الأرض فيه قيمتها من العقيدة التي تعيش فوقها ، والناس في دار الإسلام لا ينسبون إلى الأرض « مواطنون » وإنما ينسبون إلى عقائدهم « مسلمون » .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى غير دار الإسلام ، فهناك دار العهد ، ودار الحرب ودار العهد هي التي ترتبط بدار الإسلام بمعاهدة أو ميثاق ، ودار الحرب هي التي لا ترتبط بدار الإسلام بعهد ولا ميثاق ، ورعايا هذه الدور يسمون : معاهدين ، أو محاربين . .

وهكـــذا نجد المصطلح الإسلامي مصطلحاً محدداً يرتبط بالعقيدة ، ويمنع من اختلاط المفاهيم الجديدة التي جاءتنا بها المصطلحات الجاهلية ، ويُحدد سلوك المسلم على أساس العقيدة لا على أساس الوطن ، الذي يطلب منه في بعض الأحيان أن يتخلى عن عقيدته لمصلحة وطنية !! وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تفرقة « طائفية !! » بين أبناء الوطن الواحد . . حيث أصبحت الدعوة إلى الإسلام فـــي « دار الإسلام » أمراً مستنكراً . . والمناداة بالعودة إلى الإسلام الذي يشكل أبنـــاؤه ٩٩ ٪ من سكـــان العالم العربي . . دعوة طائفية !! تحارب بكل وسيلة وذلك لأن هناك ١ ٪ مـن غير المسلمين يسكنـــون العالم العربـــي ، وعلى المسلمين إذن أن يتخلوا عن عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم وحضارتهم إرضاءً لهـــذا الواحد بالمائة من غير المسلمين !! وهذا هو آخر ما وصلت إليه النظم والنظريات الديمقراطية الحديثة التي تقوم على أساس حكم الأكثرية !!

مصطلح القومية :

ولو أخذنا مصطلحاً آخر « القومية » الذي انتشر حديثاً في بلادنا ، وأصبح يدل على مذهب واتجاه ، ويحمل مفهوماً فكرياً ، هذا المصطلح لا وجود له في تاريخنا وثقافتنا ، وإن كانت كلمة قوم موجودة في ثقافتنا وتراثنا ، ولكنها لا تعني أكثر من مجموعة من الناس يرجعون إلى أصل واحد ، ويعيشون حياة مشتركة ، و « القومية » كمفهوم لم تظهر إلاّ مؤخراً وقد ظهرت في ألمانيا أولاً وأخذت طابعاً عرقياً معيناً متميزاً ، عن بقية الأجناس البشرية ، وصنفت القومية الألمانية القوميات الأخرى ووضعت لها سلّماً يميّز الناس على هذا الأساس العرقي ، ثم انتشرت في أنحاء العالم ، ويلاحظ بأن هذه الدعوة تركز على العرق والجنس ، دون العقيدة والإتجاه ومن هنا لا نجد لهذه الدعوة مجالاً في الإسلام ، وإنما نجد جذورها التاريخية تعود إلى الشيطان ، الذي امتنع من السجود لآدم ، لأنه خُلق من طين ، بينما خُلق هو من نار ، « أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين » وإذا كانت دعوى الشيطان صحيحة في الخلق دون الخيرية ، فدعوة هؤلاء ليست صحيحة في الخيرية ولا في الخلق لأن الناس خُلقوا من أب واحد وأم واحدة « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً » ، وكونهم شعوباً وقبائل لا يغيّر من الواقع شيئاً « يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهكذا يبرز ميزان التفاضل ، الذي يقوم على التقوى والعمل الصالح ، ويكون اختلاف الناس شعوباً وقبائل ، سبيلاً للتعارف والتقارب ، ولا شكّ أن التمييز العنصري الذي يسود العالم اليوم إنما هو نتيجة من نتائج الدعوات القومية ، غير أن « القومية » في ذاتها لا تحمل مضموناً فكرياً حقيقياً ، ولا مذهباً اجتماعياً معيناً ، وإنما هي وعاء فارغ يمكن ملؤه بأي فكرة أخرى ، ومن هنا نرى أن مصطلح « القومية العربية » الآن أصبح وعاءً للإشتراكية ، وما زال بعض المسلمين والمحسوبون على الفكر الإسلامي يستعملون هذا المصطلح ، ويريدون أن يقولوا : إن محتواه هو الإسلام ، ويظنون أن المصطلح ما زال فارغاً ويمكن ملؤه بالفكرة الإسلامية ، وهؤلاء ولا شك واهمون لأنهم يستعملون « القومية » بمعناها اللغوي ، بينما يستعملها الآخرون

بمفهومها الغربي الذي يناقض الإسلام مناقضة كلية ، والعوام الذين أصبحت الكلمة على أفواههم ، وفي متناول ألسنتهم لا يفرقون بين المدلولين ، ويسوقهم (الطابور) الخامس الفكري لخدمة القومية العنصرية ومحتواها الإشتراكي ، وهم يظنون أنهم ينصرون الإسلام ، ويجاهدون في سبيل الله ، ويزيدهم خداعاً وتضليلاً موقف هؤلاء المحسوبين على الفكر الإسلامي ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن هذا التقسيم القومي لا أساس له ، وأن القرآن قسم الناس إلى قسمين على أساس العقيدة لا على أساس الجنس ، فهناك « الذين آمنوا » و « الذين كفروا » وهناك « المسلمون » و « الكافرون » وتحت كل من النوعين يمكن أن يكون أقوام وأجناس مختلفة ، ولكن العقيدة هي التي تجمعهم في كلتا الحالتين ، وهكذا بدأت هذه الإصطلاحات تختفي من مجتمعنا بعد أن نعق غراب القومية في دار الإسلام ، وكان من نتائج هذه الدعوة الخبيثة أن تفتتت دار الإسلام إلى قوميات متصارعة يقتل فيها المسلمون بعضهم بعضاً خدمة للجاهلية ، وانتصاراً للعصبية المنتنة .

ويتفرع عن هذه الدعوة إلى القومية ، دعوة إلى الوحدة ، وقد أصبحت « الوحدة » شعاراً رائجاً في حياتنا المعاصرة ، ولو رجعنا إلى ثقافتنا وتراثنا لم نجد مثل هذه الدعوة ، وإنما هي بضاعة استوردناها مع مفهوم القومية الغربي ، وبما أن الوحدة عندهم كانت تابعة لمفهوم القومية ، فهكذا صارت عندنا ، وأصبحنا ندور في فلك التاريخ الغربي ، حيث نستعمل اصطلاحاته ، وننتظر أن تحل بنا حتمياته ، وحتى لكأن خط التاريخ الغربي هو الخط الذي لا بدّ أن تسلكه كل أمة ، وليس لها من دونه بديل ! ويلاحظ كذلك أن شعار الوحدة أضحى أيضاً شعاراً خالياً من مضمون الإسلام بل أصبح يحمل محتوى القومية لأن الوحدة المقصودة إنما هي الوحدة القومية العربية ، ولمّا كان مفهوم القومية بطبيعته فارغاً فقد ملؤوه بالإشتراكية مما اضطرهم في النهاية إلى القول بوحدة الهدف بدلاً من وحدة الصف ، وهكذا سلكوا هذا الطريق الوعر الشاق لإبعاد مفهوم الإسلام بحجة الطائفية والأقليات والوطنية والقومية لينتهوا أخيراً إلى مفهوم فكري مستورد بديل من المفهوم الإسلامي ، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لم نجد دعوة للوحدة العربية ولا

لغيرها ، وإنما نجد دعوة إلى الإعتصام بحبل الله ، والإستمساك بعروته الوثقى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا » ولا شك بأن مفهوم هذه الآية يحقق الوحدة الإسلامية التي لا يمكن أبداً أن تتحقق بالجهد البشري . وهكذا كانت الدعوة إلى الوحدة ، دعوة إلى الفرقة أثارت النعرات والعصبيات ، والصراع الطبقي والقومي الذي مهـد السبيل لإسرائيل أن تضرب ضربتها في الوقت المناسب ، دون أن تلقى مقاومة تُذكر . بينما كانت الدعوة إلى الإسلام في الظاهر دعوة إلى تفريق القوم الواحد إلى قسمين مؤمنين وكافرين ، كما كانوا يتحدثون عن القرآن فيقولون : « سحر يؤثر ، يفرق بين المرء وأهله ومواليه » ، ولكنها في الحقيقة كانت دعوة للإستمساك والإعتصام بحبل الله والتي نتج عنها أعظم وحدة حقيقية عرفها التاريخ ، لأنها كانت وحدة قلوب قبل أن تكون وحدة بلاد ، ووحدة قرآن قبل أن تكون وحدة معلقات ! ! ووحدة إسلام قبل أن تكون وحدة جاهلية ، وصدق الله العظيم إذ يصف هذه الوحدة « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم » « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

قيـــادة متلاشية

إن قيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشكت على الزوال لا لأن الحضارة الغربية قد أفلست مادياً أو ضعفت من ناحية القوة الإقتصادية والعسكرية ولكن لأن النظام الغربي قد انتهى دوره لأنه لم يعد يملك رصيداً من القيم يسمح لـــه بالقيادة .

المعالم : سيد قطب



بقلم: أحمد عبد الرحيم السايح
« من علماء الأزهر »

٢ ـ القرآن والعقل

من أوضح سمات القرآن الكريم ، التي لفتت نظر الباحثين في القرآن ، من المسلمين وغير المسلمين ، إشادة القرآن بالعقل ، وتوجيه النظر إلى استخدامه ، للوصول إلى الحقيقة ، فقد دعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر ، وصراحة وضمناً ، وجملة وتفصيلاً ، إلى تعظيم العقل والرجوع إليه ..

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى ، حتى أنه ليكرر هذه الدعوة بشكل يلفت النظر ، ويثير الإهتمام .

ويشير القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة ، مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه ، أو تشير إليه من قريب أو بعيد ، من التفكر ، والقلب ، والفؤاد ، واللب ، والنظر ، والعلم ، والتذكر ، والرشد ، والحكمة ، والفقه ، والرأي .. إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها ، وخصائصها ، وظلالها ، مما يعتبر إيحاءات قوية بدور العقل الإنساني وأهميته في الحياة .

وهذه الألفاظ في مجموعها ، تكوّن دائرة واحدة ، يتصل معناها جميعاً بالعقل ووظائفه ، في أوسع معانيه .

هذا ، وكلمة العلم التي وردت في القرآن ، في أربعين وخمسمائة آية ،

ليس المقصود بها في القرآن علم الدين وحسب ، وإنما قصد بها ، كل علم نافع يرفع من قدر الإنسان ، وينمي مواهبه العقلية ويجعله أكثر خبرة ، ومعرفة بأمور الدنيا ، واستفادة منها ، وإفادة بها .

أثر القرآن في تنمية القوى العقلية :

نزل القرآن بين العرب ، وباللغة العربية ، وكان العرب عند نزول القرآن ، مختلفين في عقائدهم ومعتقداتهم ، اختلافاً كبيراً ، منهم المشركون عبدة الأصنام ، ومنهم من كان يعتنق النصرانية أو اليهودية ، ومنهم الأحناف الذين ترجع عقيدتهم إلى ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومن هؤلاء وأولئك ، من كان يتطلع إلى دين جديد ، ونبي جديد ، ولكنهم لا يدرون من أي قبيلة سيكون ذلك النبي ، وبأي دين سيأتي .

غير أن رأياً عاماً ، كان منتشراً بينهم ، وهو قُرب مقدم النبي الذي تحدثت عنه الكتب السماوية ، وملأ خبره أرجاء الجزيرة العربية .

وقد حدثنا القرآن عن هذه الأنماط المختلفة من العرب ، وذوي العقائد المتباينة ، وخاطبهم جميعاً ، منهم من كان يُنكر الخالق ويقول : « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » .

ومنهم من كان يعترف بوجود الخالق ، ولكنه ينكر البعث ، ويقول : « إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد » وكان معتنقوا الأديان الكتابية على خلاف فيما بينهم ، « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » .

وعلى الرغم من وجود هذه المعتقدات والآراء ، إلاّ أن التاريخ لم يثبت أن هذة المعتقدات والآراء ، كانت تقوم على منهج عقلي أو فلسفي واضح ، ولم يتح للعرب أن يبلوروا هذه المعتقدات في فلسفة فكرية ذات قواعد ومنهج محددين ، بل كانت قاعدتهم الفكرية هي قولهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مهتدون » وهذه القاعدة من شأنها أن تحجر على الفكر : النظر والبحث والتأمل ، وبالتالي توقف النمو العقلي عن الوصول إلى الحقائق المتصلة بالإنسان ، والكون ، والحياة ، مادياً وروحياً .

ويمكن أن نقول : أنَ العالم الإنساني كان مغموراً بموجة طاغية من فساد

الإعتقاد . بعضه يهيم في عماء الجهل والتقليد الأعمى ، وعبادة الأهواء ، لأن الوثنية التي كانت من مواريث الجهل والتبعية العمياء ، استحوذت على العقول والأفهام ، وبعضه يرسف في أغلال الحجر العقلي ومضلته ، وبقي هذا الفساد مستحكماً في هؤلاء وهؤلاء ، حتى جاء الإسلام لإصلاح هذه الأوضاع الفاسدة ، وتحرير الإنسان من هذه الأغلال الجاثمة على عقله وفكره . كانت مهمة القرآن ، هي العمل على إبطال القاعدة الخاطئة « إنّا وجدنا آباءنا على أمة » وتحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته على حرية الفكر ، واستقلال الإرادة . ليكمل بذلك عقله ، ويستقيم تفكيره ، وتتهذب قـواه .

فوجه القرآنُ الفكرَ ، إلى كل ما من شأنه ، أن يدعو إلى استعمال العقل والتدبر والتأمل ، حتى تزول تلك الحجب الكثيفة ، التي تحول بـين العقل والرؤيا الصحيحة للأشياء ، وليخلق أمة جديدة ، هي أمة القرآن العاقلة المفكرة الباحثة الدارسة ، التي تعلي من شأن العقل ، وتستخدمه في مختلف شئونها ، وتفتح أمامه آفاقاً غير محدودة ، لاستكناه حقائـق الوجود ، في هذا العالم الكبير .

ولقد اشتملت توجيهات القـرآن العقلية ، على أصول ومبادىء عامة ، صلحُت لأن تكون منهجاً فكرياً سليماً ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة ، وبالتالي مكنت هذه المبادىء والتوجيهات المسلمين من الإستفادة ، من تلك الدرة الإلهية التي منحها الله للإنسان وهي : « العقل » فنمته وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها .

طالب القرآن كل ذي عقل بالنظر في عوالم السموات والأرض ، وما فيهما من الدلائل الواضحة كما في قولـه تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله » ، « قل أنظروا ماذا في السموات والأرض » « ألم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ، « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت وإلى السماء كيف رُفعت وإلى الجبال كيف نُصبت وإلى الأرض كيف سُطحت » « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

واستنهض العقول ، ووجه الأفهام ، وأيقظ الحواس ، ونبّه المشاعر ، بالتعقيب على بيان الآيات الكونية والتشريعية بمثل قوله تعالى : « إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » ، « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، « إن في ذلك لآيات لأولي النهى » ، « إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون » ، « ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » ، « إنما يتذكر أولوا الألباب » ، وبشر الذين يستمعون القول ، فينظرون إليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويرشد إلى طريق العلم والقوة .

ولم يكتف القرآن بهذا . بل ذم الغافلين ، ونعى عليهم غفلتهم ، وإعراضهم عن الآيات الكونية التي يشاهدونها ، في كل لحظة وتطالعهم بدلائلها في كل آونة ، كما في قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » ، « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل وأولئك هم الغافلون » ، « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

وعاب القرآن على أسرى التقليد ، إعراضهم عن الحق ، وجمودهم على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم ، كما قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .

فالتقليد الأعمى من شر ما تُبتلى به الأفراد والجماعات لأنه يميت مواهب الفكر والنظر ، ويوجب جمودها وركودها .

والقرآن الكريم : فوق هذا وذاك قرر حق الإنسان في حرية الفكر ، واستقلال الإرادة ، وحرية الفكر التي جعلها الإسلام رائداً للتفكير ، ونبراساً للعقول والأفهام . هي الحرية التي تطلق العقول والأفهام ، من أغلال الحجر العقلي ، والكبت الفكري ، وتحررها من سيطرة التقليد والتبعية العمياء ، وتجلي لها معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجية قيادة بناء وإصلاح .

وزاد الإنسان ذلك بأن قرر تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته ، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمي البصائر،

ويميت عناصر الحياة والحركة والقوة في الأمم ، ويفسد على الناس مناهج حياتهـــم .

فذم الجهل والجاهلين في مواطن كثيرة ، كما في قوله تعالى : « يظنون بالله غير الحق ظـــن الجاهلية » ، « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » ، « قـل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » ، « فلا تكونن من الجاهلين » ، « إنني أعظك أن تكون من الجاهلين » .

وعاب الذين يتبعون الظنون والأوهام ، كما في قوله تعالى : « وما يتبع أكثرهم إلاّ ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون » ، « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنـه مسئولاً » ، « إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون » .

وعظم شأن العلم وحثّ على طلبـه والسعي إليه كما في قوله تعالى : « بـل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ، « وقل رب زدني علما » ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ونوه بفضل الحكمة ، وما فيها من السمو والتألق والإرتفاع كما في قولـه تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلاّ في اثنين : رجل أتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » .

ورفع منزلة العلماء وجعلهم أهـل خشيته ، وقرن شهادتهم ، بشهادتـه تعالى ، وشهادة ملائكته كما في قولـه تعالى : « قُل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولـوا الألباب » ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأُولوا العلم » .

وجعلهم ينابيع العلم ، وموارد المعرفة وروراد الحق ، كما في قوله تعـالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

نعمة الأمن

بقلم الشيخ
عبد القادر شيبة الحمد
المدرس بكلية الشريعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . . أما بعد :

فقد روى الترمذي وقال حسن غريب : من طريق سلمة بن عبيد الله بن مُحصنٍ الخُطَميّ عن أبيه وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافىً في جسده ، عنده قُوتُ يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » .



إن من أعظم نعم الله على عباده ، أن يصبح الإنسان آمناً على نفسه ، مطمئناً على عرضه ، لا يخاف ظلم ظالم ولا جور جائر ، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن من اجتمع له الأمن في وطنه ، والصحة في بدنه ، مع وجود قوت يومه ، فقد جُمعت له الدنيا ، ولم يفته منها شيء حيث يقول فيما جاء من الأثر : « من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافىً في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا أي اجتمع له أسباب النعيم العاجل ، ولم يفته من مَسَرّةِ الحياة شيء » . والأمن في البلاد مع الصحة في الأبدان نعمة يجب أن تشكر فإن من فاتته هذه النعمة لم يسعد ن الحياة بشيء ولذلك جاء في الحِكَم : نعمتان مجحودتان : الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان .

وقد امتن الله تبارك وتعالى على أهل مكة في مواضع كثيرة من كتابه بنعمة الأمن لِيلفتَ الناس إلى شكرها ،

وينبههم إلى خطرها ، وجعل ذلك آية من آياته ، وبرهاناً من براهين عظمته وقدرته ، وألوهيته وربوبيته حيث يقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمم من جوع وآمنهم من خوف » وكما قال عزّ وجلّ : « أوَ لم يروا أنّا جعلنا حرماً آمنـاً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون » . وكما قال عزّ وجلّ : « وقالوا إن نتبع الهدى معك نُتَخَطَّف من أرضنا أوَ لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدُنّا ولكن أكثرهم لا يعلمون * وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلاً وكنّا نحـن الوارثين » . وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى أسباب الأمن ، وأن أساسها الإيمان بالله وعدم الظلم ولذلك قال في قصة إبراهيم عليه السلام حينما هدده قومه بأن أصنامهم ستسلبه الأمن : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ثم بيّن أصول الأمن وأعظم أسبابه فقال : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم الظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » فإن العبد إذا آمن بالله عزّ وجلّ والتجأ اليه وامتنع عن المظالم كان حرياً بوقاية الله من شرور أعدائه ، على حد قول الشاعر :

وكما قال الشاعر :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم
وإذا العناية لاحظتك عيونُها
نَمْ فالمخاوف كلهن آمـان

وقد وعد الله تبارك وتعالى أهل الأديان والعمل الصالح أن يمكن لهم في الأرض وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً وفي ذلك يقول عزّ وجلّ : « وعد الله الذين آمنوا منكـم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمـون » . كمـا وعد الله تبارك وتعـالى كلّ من عمل صالحاً مـن ذكر أو أنثى بالحياة الطيبة والتي يكون الأمن من أبرز مظاهرها حيث يقول » من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وقد نبّه إبراهيم عليه السلام إلى خطر نعمة الأمن في البلاد فدعا الله تبارك وتعالى أن يجعل دار ولده اسماعيل

آمنة ، حيث يقول الله عزّ وجلّ في دعوته : « وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالليل واليوم الآخر » . وكما قال عزّ وجلّ : « وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنـاً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام » .

وقد استجاب الله تبارك وتعالى دعاء إبراهيم عليه السلام فجعل دار اسماعيل عليه السلام حرماً آمناً وجعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً وفي ذلك يقول: « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ووصفت مكة بأنها البلد الأمين حيث يقول : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » كما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تطبيق شريعة الإسلام ، والعمل بأحكامه وتحليل حلاله وتحريم حرامه ممـا يورث البلاد أمناً ، ويهبها استقراراً ، فقد صحّ الخبر أن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه لمّا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت أخت عدي قد أوصته أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له : أرى أن تلحق بمحمد فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضل وإن يك ملكاً فأنت أنت . فلما قدم عدي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عدي : ما يمنعك من الدخول في الإسلام ؟ ثم قال له : والله لَيَتِـمّنّ هــذا الأمر حتى تصير الظعينة من صنعاء إلى الحيرة فلا تخاف على نفسها إلا من الذئب ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولقد بيّن الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الأسباب السالبة للأمن ، الجالبة للخوف فجعل منها محاربة دين الله وفي ذلك يقول : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهـم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » . كما تهدد الله تبارك وتعالى من يكفر بنعمة الله أن يبدله من بعد أمنه خوفاً وأن يُلبسه لباس الجوع وفي ذلك يقول : « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانـوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهـم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون . فكلـوا ممـا رزقكم الله حلالاً طيبـاً واشكروا نعمــة الله إن كنتم إيّاه تعبدون » .

ولقد أشار نبي الله صالح صلى الله

عليه وسلم إلى عظيم نعمة الأمن وطلب من قومه أن يشكروا الله عزّ وجلّ عليها ، وأنذرهم بأنها ستسلب منهم إن لم يعترفوا لله عزّ وجلّ بها وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ حاكياً مقالة نبي الله صالح صلى الله عليه وسلم لقومه : « أتتركون فيما ههنا آمنين ، في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما أنت من المسحرين . ما أنت إلاّ بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم . فعقروها فأصبحوا نادمين . فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم . ولقد ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً كذلك

بلاد سبأ إذ كانوا يعيشون آمنين في بلاد لهم فيها آية جنتان عن يمين وشمال : فلما أعرضوا عن دين الله مزقهم كل ممزق وجعلهم أحاديث وفي ذلك يقول عز وجل : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »

عبد القادر شيبة الحمد

! ! !

إني تذكرت والذكرى مؤرقة ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

أنّى اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

محمود غنيم



بحث تاريخي يحمل روح الفقهاء يقدمه فضيلة الكاتب للقراء . والموضوع في الحقيقة حساس يتقبل كثيراً من المناقشة ولا يزال يحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب ولذلك فإن فضيلة المؤلف ببحثه هذا الجديد يثير الفرصة مرة أخرى لإيفاء (التراويح) حقها . والهدف الأول والأخير هو الحق ولذلك فإنه ينتظر بفارغ الصبر آراء القراء وملاحظاتهم وفوائدهم حول الموضوع الذي سيستمر في حلقات متتابعة إن شاء الله .

(المجلة)

أولا — العهـد النبـوي :

لا شك أن ميدان التشريع وأصله إنما هو ما يكون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن العصر النبوي هو عصر التشريع لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . ولقوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة »إلى غير ذلك من النصوص و يلحق بذلك عصر الخلفاء الراشدين لقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي .

والتراويح وإن اختصت برمضان فإنها داخلة في عموم قيام الليل ، وقد جاءت نصوص في عموم قيام الليل ، وفي خصوص تراويح رمضان .

فمن عموم التهجد بالليل قوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » ، « يا أيها المزمل قم الليل إلاّ قليلا » .

أما خصوص قيام رمضان . فالواقع أنها وإن كانت أخص من قيام الليل من حيث الزمن ، فهي أعم منه من جهة الطلب .

التدرج في مشروعية التراويح :

وبالتأمل في نصوص التراويح يظهر أنها أخذت سبيل التدرج والتطور التصاعدي . وذلك كالآتي :

أ ـ الترغيب المطلق : كما في حديث أبي هريرة عند مسلم وساقه البيهقي جـ ٢ ص ٤٩٢ ما نصه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه . قال البيهقي رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى ، ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك . ومثله عن أبي هريرة عند البيهقي ، وقال : رواه البخاري عن يحيى بن بكير ، فهذا ترغيب من غير تحديد بعدد ، ولا إلزام بفعل ، ولهذا قال أبو هريرة في سنن البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيها بعزيمة فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه .

ب ـ ثم جاء التنصيص على أنّ قيامه سنة مفروضة بفرضية صيامه كما في حديث عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر شهر رمضان فقال : إن رمضان شهر افترض الله صيامه وإني سننت للمسلمين قيامه ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه . ففي هذا النص تدرّج من مطلق الطلب إلى أنه سنة ، وزاد في قوتها اقتران سنية قيامه بفرضية صيامه كما تفيده دلالة الإقتران المعروفة في الأصول .

نتيجة هذا الترغيب :

كانت نتيجة هذا الترغيب أن بادر الناس إلى قيامه أفراداً وجماعات ، يأتمون بمن معهم شيء من القرآن لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان الناس يصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان بالليل أوزاعاً يكون مع الرجل الشيء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو الستة أو أقل من ذلك أو أكثر يصلون بصلاته ، قالت

فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من ذاك أن أنصب له حصيراً على باب حجرتي ففعلت ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صلى العشاء الآخرة فاجتمع إليه من في المسجد فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً طويلاً ، ثم انصرف فدخل وتركت الحصير على حاله ، فلما أصبح النهار تحدثوا بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن كان بالمسجد تلك الليلة ، فأمسى المسجد زاخاً بالناس فصلى بهم صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء الآخرة ثم دخل بيته ، وثبت الناس فقال لي ما شأن الناس فقلت له : سمع الناس بصلاتك البارحة بمن كان في المسجد فحشدوا لذلك لتصلي بهم . قال : إطوعنا حصيرك يا عائشة ، ففعلت فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير غافل ، وثبت الناس مكانهم حتى خرج إليهم إلى الصبح . فقال : أيها الناس أما والله ما بت والحمد لله ليلتي غافلاً ماخفى على مكانكم ولكني تخوفت أن يفرض عليكم ، اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، رواه المروزي بهذا اللفظ . ورواه البيهقي وذكر الليالي ثلاثاً أو أربع . وفي مجمع الزوائد عن جابر قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ثمان ركعات وأوتر فلما كان القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج إلينا فلم نزل فيه حتى أصبحنا ثم دخلنا . . الحديث . وأصل الحديث في البخاري ومسلم . وفيه وفي السنن للبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في رمضان عشرين ركعة ، ولكنه ضعيف بأبي شيبة .

ففي هذا الحديث على رواية المروزي قيام الناس مع من معه شيء من القرآن فهو تدرج من الترغيب ، إلى الإستناد المقرون بفرضية الصيام ، إلى القيام بالفعل في المسجد مع من معه شيء من القرآن ثم خطوة أخرى وهي القيام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته وإن كان لم يشعر بهم على الصحيح كما في سؤاله عائشة : ما شأن الناس ، وقوله اطو عنا حصيرك .

وأصرح من هذا حديث أنس عند المروزي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان فجئت فقمت إلى جنبه ثم جاء آخر ثم جاء آخر حتى كنا رهطاً . فلما أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّا خلفه تجوز في صلاته ، ثم دخل منزله ، فلما دخل منزله صلى صلاة لم يصلها عندها ، فلما أصبحنا قلنا يا رسول الله : أو

فطنت لنا البارحة ، فقال : نعم ، وذلك الذي حملني على ما صنعت ففي هذا الحديث ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم في أول صلاته لقول أنس : فلما أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّا خلفه ، كما أن فيه ما يشعر أنه صلى الله عليه وسلم بدأ صلاته تلك في المسجد بدليل قوله : تجوز في الصلاة ثم دخل منزله . وكما يشعر بأنه صلى الله عليه وسلم علم بصلاتهم خلفه ولم ينكر عليهم ، وأصرح من ذلك دلالة على صلاته صلى الله عليه وسلم في المسجد حديث عائشة عند البيهقي عن عمرو بن الزبير رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل يصلي في المسجد فصلى رجال يصلون بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك . وساقت قصة صلاته ليالي إلى الليلة الرابعة . قالت عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم ، ففيه دلالة صريحة أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة في المسجد ، وفيه دلالة على امتلاء المسجد بالمصلين .

وهذه خطوة أخرى وهي امتلاء المسجد بعد أن كانوا أوزاعاً فقد عجز المسجد عن أهله لكنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج إليهم خشية أن تفرض عليهم .

إذن فقد كان من الممكن أن يخرج إليهم لولا تلك العلة التي هي خشية أن تفرض عليهم . وكأن الصلاة بهم ، والإجتماع إليها أمر جائز ، لولا الشفقة عليهم وخشية تكليفهم بها ثم يعجزون ولقد أقرّ صلاة غيره بجماعة من الناس سواء في البيوت أو في المسجد .

أما في البيوت فلحديث أبي عند المروزي قال عن جابر جاء أبي بن كعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقال : يا رسول الله . كان معـي الليلة شيء قال وما ذاك ؟ قال : نسوة داري قلن إنا لا نقرأ القرآن فنصلي خلفك بصلاتك فصليت بهن ثمان ركعات فسكت عنه ، وكان شبه الرضاء .

وأما في المسجد فحديث أبي هريرة عند المروزي أيضاً قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال ما هؤلاء ؟ قيل : هؤلاء أناس ليس معهم قرآن ، وأبي بن كعب يصلي بهم فهم يصلون بصلاته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصابوا ، أو نِعمَ ما صنعوا .

ثم كانت المرحلة قبل الأخيرة وهي : ما جاء في حديث أنس . وحديث أنس عند المروزي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع أهله ليلة إحدى وعشرين ، ويصلي بهم إلى ثلث الليل ، ثم يجمعهم ليلة اثنين وعشرين فيصلي بهم إلى

مقـــابـــلة شخصيـــة

قال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله ، فلما قدمنا المدينة أتيت (يرفأ) فقلت : يا يرفأ ابن سبيل مسترشد أخبرني أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟ فأومأ إلى الخشونة . فأخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء ، ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه وصعد فينا نظره وصوب فلم تأخذ عينه أحداً غيري فدعاني فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي . قال : وما تتولى من أعمالنا ؟ قلت : البحرين . قال : فكم ترزق ؟ قلت : خمسة دراهم كل يوم . قال : كثير فما تصنع بها . ؟ قلت : أتقوت منها شيئاً وأعود بباقيها على أقارب لي فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين . فقال : لا بأس إرجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعي من الصف . ثم صعد فينا وصوب فلم تقع عيناه إلاّ عليّ فدعاني فقال : كم سنوك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة . قال : الآن حين استحكمت . ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثوا عهد بلين العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز يابس وأكسار بعير . فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد الأكل فنظرت فإذا به يلحظني من بينهم . ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الأرض ولم ألفظ بها فقلت : يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام هو ألين من هذا ؟ فزجرني وقال : كيف قلت ؟ قلت : أقول لو نظرت يا أمير المؤمنين إلى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل إرادتك له بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً وباللحم غريضاً . فسكن من غضبه وقال : هذا قصدت ؟ قلت : نعم . قال : يا ربيع إنّا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق ورقائق وصناب ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) .. ثم أمر أبا موسى أن يقرني وأن يستبدل أصحـــابي .

العقد الفريد ـــ ج ١

نصف الليل . ثم يجمعهم ليلة ثلاث وعشرين فيصلي بهم إلى ثلثي الليل . ثم يأمرهم ليلة أربع وعشرين أن يغتسلوا ويصلي بهم حتى يصبح ثم لا يجمعهم.

فهذا الحديث نص في أنه صلى الله عليه وسلم قام بأهل بيته ثلاث ليال مُدداً متفاوتة . ويتدرج الأولى إلى ثلث الليل ، والثانية إلى نصفه ، والثالثة إلى ثلثيه .

وليس ببعيد أن يوحي هذا العمل بأنه عمل بين الرغبة في الخير ، وبين الخوف من أن تفرض . لما يفهم من أنه كان في العشر الأواخر وهي محل الرغبة أكثر وكذلك التدرج في إطالة المدة استجابة لتلك الرغبة . كما يفهم من عدم المواصلة إلى آخر الشهر خشية أن يفرض .

ثم جاءت المرحلة الأخيرة في التدرج من حديث أبي ذر قال في المنتقى رواه الخمسة وصححه الترمذي . ورواه أيضاً البيهقي ونصه في السنن : صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا من الشهر شيئاً حتى كانت ليلة ثلاث وعشرين قام بنا حتى ذهب نحو من ثلث الليل ثم لم يقم بنا من الليلة الرابعة ، وقام بنا من الليلة الخامسة حتى ذهب نحو من نصف الليل فقلنا يا رسول الله : لو نفلتنا بقية الليل . فقال : إن الإنسان إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له بقية ليلته ، ثم لم يقم بنا ليلة السادسة وقام السابعة وبعث إلى أهله ، واجتمع الناس حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح .

قال البيهقي ، ورواه وهيب عن داود . قال : ليلة الرابع وعشرين السابع مما يبقى ، وقال : ليلة ست وعشرين ، الخامس مما يبقى ، وليلة ثمان وعشرين الثالث مما يبقى .

ففي هذا الحديث وصول بصلاة التراويح إلى حد التجمع ، والتقرير عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قولهم له : لو نفلتنا بقية الليلة . وفي هذا دلالة على أمرين :

أ ــ الأول : أنه صلى الله عليه وسلم علم بهم وأقرهم على تجمعهم في المسجد كما أنه في السابعة وعشرين بعث إلى أهله ويشهد لهذا الجزء ما في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم إذا كان العشر الأواخر شد المئزر وطوى فراشه وأيقظ أهله .

ب ــ الأمر الثاني : أنه وإن لم يحدد صلى الله عليه وسلم عدداً من الركعات إلاّ أنه أقرهم على طلبهم الزيادة عما كان وإلى بقية ليلتهم . فلم ينكر عليهم طلب الزيادة ولكنه أرشدهم إلى ما يعوضهم عنها وهو

قيامهم مع الإمام حتى ينصرف . وهذا مثل قصة (   ) لمـّا مرّ عليها صلى الله عليه وسلم وهي تسبح على حصى أو نوى حتى رجع فوجدها على تلك الحالة فقال لها : لقد قلت كلمات تعدل كل ما قلت : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ، فلم ينكر عملها وأرشدها إلى ما هو خير منه وهكذا هنا لم ينكر طلبهم الزيادة وأرشدهم إلى ما هو خير منه بل إلى ما يساويه فحسب .

وعليه : فهنا صلاة في جماعة بإمام ومأمومين في المسجد وهذا غاية الإثبات لصلاة التراويح في المسجد جماعة ، وبإمامته صلى الله عليه وسلم .

ثم جاءت الليلة السابعة والعشرون فكانت عامة شاملة شملت أهله صلى الله عليه وسلم مع عامة الناس .

عدد الركعات في ذلك العصر :

١ — جاء عن جابر أربع ركعات

٢ — جاء في بعض النصوص أنه صلى الله عليه وسلم صلى ثمان ركعات.

٣ — وجاء في نص ضعيف عشرين ركعة .

٤ — وجاء الإطلاق بدون تحديد . مع التقرير على طلب الزيادة إلى بقية ليلتهم .

٥ — وجاء التدرج من ثلث الليل ثم نصف الليل ثم ثلثي الليل . وهل كان ذلك بزيادة في عدد الركعات أم بإطالة في القراءة مع عدم الزيادة في عدد الركعات طيلة الليالي الثلاث . وإلى أي حد كانت إطالة القراءة والقيام

كيفيةصلاتها : جاء عن حذيفة رضي الله عنه أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائماً ، ثم سجد فقال في سجوده سبحان ربي الأعلى مثل ما كان قائماً ، ثم جلس يقول رب اغفر لي ، رب اغفر لي . مثل ما كان قائماً ، ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى مثل ما كان قائماً فما صلى إلاّ أربع ركعات حتى جاء بلال إلى الغداة . فهذا نص في بيان تطويل الصلاة في أربع ركعات في رمضان خاصة .

أما عموم قيام الليل : فقد عقد البخاري باباً بعنوان : كيف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وساق حديث عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كيف صلاة الليل ؟ قال : مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة . **(البقية على صفحة ٧٨)**

المدلسون ٣

بقلم الشيخ حماد الأنصاري المدرس بكلية الدعوة

(ع) سعيد بن عبد العزيز الدمشقي ثقة من كبـــار الشاميين من طبقة الاوزاعي روى عن زياد بن أبي سودة عن ميمونة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقـــال ابو الحسن ابن القطان : لا ندري أسمعه منه أو دلسه من الثانية توفي سنة ١٩٧ هـ ٠

(ع٠ ب س) سعيد بن أبي عروبه البصري رأى انسا رضي الله عنـــه وأكثر عن قتادة وهو ممن اختلط ٠ وصفه النسائي وغيره بالتدليس من الطبقة الثانية من طبقات المدلسين ذكرته في الثقات المختلطين توفي سنة ١٥٦ هـ ٠

(ع٠ ب٠ س٠) سفيان بن سعيد الثوري الامام المشهور الفقيه العابد الحافظ الكبير وصفه النســـائي وغيره بالتدليس وقال البخاري : ما أقل تدليسه من الثانية مات ســـنة ١٦١ هـ عن أربع وستين سنة ٠

(ع٠) سفيان بن عيينة : الهلالي الكوفي ثم المكي الامام المشهور بقية الحجاز في زمنه كان يدلس لكن لايدلس الا عن ثقة كثقته وحكى ابن عبد البر عن أئمة الحديث انهم قالوا : يقبل تدليس ابن عيينه لانه ان وقف احال على ابن جريج ومعمر ونظـــرائهما ٠ وهذا هو عين ما رجحه ابن حبان وقال هذا شيء ليس في الدنيا الا لابن عيينة فانه كان يدلس ولا يدلس الا عن ثقة متقن ولا يكاد يوجد لابن عيينة خبر دلس فيه الا وقد بين

سماعه عن ثقة مثل ثقته ثم مثل ذلك بمراسيل كبار الصحـــابة فانهم لا يرسلون الا عن صحابى • وقد سبق ابن عبد البر الى هذا الكلام ابو بكر البزار وابو الفتح الازوى ولفظهما أن من كان هذه صفته وجب قبول حديثه وكذا قال ابو بكر الصـــيرفى فى دلائله. كل من ظهر تدليسه عن غير الثقات لم يقبل خبره حتى يقـــول حدثنى أو سمعت من الطبقة الثانية توفى ١٩٨ هـ عن احدى وسبعين سنة •

(ع• ب•) سفيان بن عيينة آخر سمع عمرو جابرا يدلس ليس بشىء وهو مولى معمر بن كدام من أسفل قال البرهان الحلبى فى تبيينه انتهى لفظ العجلى فى ثقاته ثم قال البرهان فان صحت الكتابة فقد ذكره تمييزا رأيته كذلك فى الثقات التى رتبهـــا شيخنا الحافظ نور الدين الهيثمى وأثبت أنها صحيحة •

قال الحافظ فى طبقاته : ليس الامر كما ظن البرهان من أن سفيان بن عيينة شخصـــان وذلك لان ابن عيينة مولى بنى هلال وقد ذكر الذهبى فى فوائد رحلته انه لما اجتمع بابن دقيق العيد سأله من ابو محمد الهلالى؟ فقال : سفيان بن عيينة فأعجبـــه استحصاره وانما نسب لسعر لان مسعرا من بنى هلال صليبة ولعـــل العجلى انما قال فيه ليس بشىء لامر آخر وهو علة الاختلاط ثم راجعـــت أصل الثقات للعجلى فوجدته قـــال ما نصه سفيان بن عيينه • وقال ولد البرهان موفق الدين ابو ذر لم يظن والدى بل حقق ذلك بقول والدى غير الاول وقد قال العجلى : سمع عمـــر وجابرا وأين الاول منهما من السماع• نعم فالاول يروى عن عمرو بن دينار والزهرى وزيد بن اسلم وصفوان بن سليم وعنه شعبة ومسعر من شيوخه وابن المبالك من اقرانه واحمد واسحاق وابن معين وابن المدينى وطبقتهم وتبين من هذا انهما شخصان كمـــا قال البرهان فى التبين من الثانية • لم أجد وفاته •

«ع• س•» سلمة بن تمام الشقرى من أتباع التابعين ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين وذكر ابن أبى حاتم ما يدل على أنه كان يدلس ولذلك قال العلانى فى كتـــابه التحصيل فى المراسيل كأنه يدلس من الطبقة الاولى لم يذكر الحافظ ولا الخزرجى وفاته

« سليمان » بن داود ابـــو داود الطيالسى الحافظ المشهور بكتبه من الثقات المكثرين قال محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا شـــعبة

فذكر حديثين قال يزيد حدثت بهما أبا داود فكتبهما عنى ثم حدث بهما عن شعبه • قال الذهبى : دلسهما وكان ماذا • قال الحافظ قال يزيد بن زريع سألته يعنى أبا داود عن حديثين لشعبة فقال : لم اسمعهما منه قال ثم حدث بهما عن شعبة ويحتمل أن يكون تذكرهما وان كان دلسهما نظر فان ذكر صيغة محتملة فهو تدليس الاسناد وان ذكر صيغة صريحة فهو تدليس الاجازة من الطبقة الثانية توفى سنة ٢٠٤ هـ •

« تنبيه » تقدم فى المقدمة ان الامام الشافعى قال ان الشخص اذا دلس مرة واحدة كان مدلسا •

«ع» سليمان بن طرخان التيمى تابعى مشهور من صغار تابعى أهل البصرة وكان فاضلا وصفه النسائى وغيره بالتدليس من الطبقة الثانية •

« ع• ب• س• » سليمان بن مهران ـ بكسر الميم ـ الملقب بالاعمش مشهور بالتدليس وفى الميزان كان يدلس عن الحسن البصرى وغيره مالم يسمعه • وفيه أيضا يدلس وربما دلس عن ضعيف ولا يدرى به فمتى قال : حدثنا فلا كلام ومتى قال عن تطرق اليه احتمال التدليس الا فى شيوخ أكثر عنهم كابراهيم النخعى وابى وائل وابى صالح السمان فان روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال • ذكرته فى فتح الوهاب فى الالقاب من الثانية توفى سنة ١٤٨ هـ •

« ع• ب• » سويد بن سعيد الحدثانى بفتح المهملة والمثلثة نسبة الى حديثه بلد على الفرات مشهور وهو من الموصوفين بالتدليس وصفه به الدارقطنى والاسماعيلى وغيرهما وقد تغير فى آخر عمره بسبب العمى فضعف بسبب ذلك وكان سماع الامام مسلم منه قبل ذلك فى صحته من الرابعة مات سنة ٢٤٠ هـ •

« ع• ب• » شياك الضبى صاحب ابراهيم النخعى من أهل الكوفة ثقة له ذكر فى صحيح مسلم ذكره الحاكم فى علومه فيمن كان يدلس من الطبقة الاولى •

«ع•ب» شريك بن عبدالله النخعى القاضى مشهور وكان من الاثبات فلما ولى القضاء تغير حفظه وكان ينبرء من التدليس ونسبه عبد الحق فى الاحكام الى التدليس وسبقه الى وصفه به الدارقطنى من الطبقة الثانية توفى سنة ١٧٧ هـ •

«ب» شعيب بن أيوب الصريفني قال فيه ابن حبان : كان يدلس من الثالثة مات سنة ٢٦١ هـ ولأبي داود عنه فرد حديث .

«ع» شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص يروى عن جده روى عنه ابنه عمرو مشهور وروى عنه أيضا ولد له آخر عمر وثابت البناني وعطاء الخراساني وغيرهم :وجل ما يروى عنه عن ولده عمرو وستأتى ترجمته ان شاء الله في العين

واختلفوا في سماعه من ٥ فجزم بأنه سمع منه ابن المديني والبخاري. والدارقطني وأحمد بن سعيد الدارمي وأبو بكر بن زياد النيسابوري وقال أحمد بن حنبل : أراه سمع منه .

وجزم بأنه لم يسمع منه ابن معين وقال انه وجد كتاب عبد الله بن عمرو فحدث منه . وقال ابن حبان : من قال انه سمع من جده فليس ذاك بصحيح.

وقال الحافظ : وقد صرح بسماعه من جده في أحاديث قليلة فان كان الجميع صحيحا وجدت صورة التدليس من الثانية .

« ع » شعيب بن عبد الله قال علي بن المديني حدثني حسين بن الحسن الاشقر عن شعيب بن عبد الله عن أبي عبد الله عن نوف عن علي رضى الله عنه فذكر حديثا قال : فقلت لحسين ممن سمعته قال من شعيب فقلت لشعيب من حدثك قال : أبو عبد الله الجصاص عن حماد القصاب فقلت لحماد القصاب من حدثك . قال : بلغني عن فرقد عن نوف فأذا هو قد دلس عن ثلاثة ، أى اسقطهم من الثالثة .

الصاد :

« ع. » صالح بن أبي الاخضر ذلك روح بن عبادة أنه سئل عن حديث عن الزهري فقال : سمعت بعضا وقرأت بعضا وذكر روح بن عبادة ووجدت بعضا ولست أفصل ذا من ذا من الطبقة الخامسة توفي سنة بضع وخمسين ومائة ..

« ع. » صقران بن صالح بن دينار الدمشقي ابو عبد الملك المؤذن وثقة ابو داود وغيره ينسب الى تدليس التسوية يأتي خبره في ذلك في ترجمة محمد بن المصطفى الحمصي من الثالثة توفي سنة ٢٣٧ هـ .

« ع٠ ب٠ » طاوس بن كبسان الفقيه اليماني التابعي المشهور أحد الاعلام ذكر حسين الكرابيسي في أثناء كلام له انه أخذ عن عكرمة كثيرا من علم ابن عباس رضى الله عنه قال ابن معين لا أراه سمع عنهما ٠ وقال ابو داود لا أعلمه سمع منهما ٠ وقال الحافظ العلائي لم أر أحدا وصفه بذلك ، من الاولى مات سنة ١٠٦ هـ ٠

« ع٠ » طلحة بن نافع الواسطي ابو سفيان الراوي عن جابر صدوق مشهور بكنيته معروف بالتدليس وصفه بذلك الدارقطني والحاكم من الثالثة لم أجد له وفاة ٠

العين :

«ب٠» عاصم بن عمر بن قتادة الظفري العلامة في المغازي ذكر له الحاكم في سند حديثا في الزكاة عن قيس بن سعد بن عبادة في بعثه ساعيا ثم قال على شرط مسلم وقال الذهبي عقيبة بل متقطع عاصم لم يدرك قيسا واذا كان كذلك فقد تقدم ان هذا ارسال خفي وليس بتدليس على الاصح فلا ينبغي أن يعد عاصم مع المدلسين ٠

«ع٠» عباد بن منصور الناجي البصري قال مهنا سألت الامام أحمد عنه فقال : كان قد رأوا أحاديثه منكرة وكان يدلس وقال الساجي ضعيف مدلس وقال البخاري : ربما يدلس عبادة عن عكرمة من الرابعة توفى سنة ١٥٢ هـ ٠

«ع٠» عبد الله بن زياد بن سمعان المدني ضعفه الجمهور ويكنى أبا عبد الرحمن قال : البخاري سكتوا عنه وقال ابن معين ليس بثقة ٠ وكان أحمد بن ابراهيم بن سعد يحلف أن ابن سمعان يكذب وقال الجوزجاني ذهب الحديث وروى ابن قاسم عن مالك كذب ووصفه ابن حبان بالتدليس من الخامسة ٠

«ع٠» عبد الله بن عطاء الطائفي نزيل مكة من صغار التابعين قضيته في التدليس مشهورة رواها شعبة عن أبي اسحاق السبيعي ٠ قال شعبة: سألت أبا اسحاق السبيعي عن عبدالله بن عطاء الذي روى عن عقبة كان تناوب رعية الابل قال شيخ من أهل الطائف : فلقيت ابن عطاء فسألته اسمعته من عقبة بن عامر فقال : لاحد ثنيه سعد بن ابراهيم فلقيت سعد

فقال حدثنيه زياد بن محمد المحدق فلقيت زياد فقال : حدثني رجل عن شهر بن حواشب رواه ابـــو داود الطيالسي عن شعبة وقد رواه نصر بن حماد عن شعبة بقصة أطول من هذا من الطبقة الاولى ٠

« ع٠ ب٠ » عبد الله بن أبي نجيح المكي أكثر عن مجاهد وكان يدلس عنه وصفه بذلك الشأى روى عنه ابن الحداد الامام ابو بكر الفقيه المصرى الشافعي من الثالثة ٠ توفي ســـنة ١٣١ هـ ٠

« ع٠ ب٠ » عبد الله بن الهيعة الحضرمي قاضي مصر اختلط في آخر عمره وكثرت عنه المناكير في روايته وقال ابن حبان : كان صانحا ولكنه كان يدلس عن الضعفاء من الخامسة توفي سنة ١٧٤ هـ ٠

« ب٠ » عبد الله بن مروان ابوشيخ الحراني يروى عن زهير عن معاوية وغيره روى عنه حسين بن منصور وابراهيم الهيثم قـــال ابن حيان في ثقاته يعتبـر حديثـه اذا السماع في خبره ومقتضى هـــذا انه يدلس من الطبقة الثالثة ٠

(ع٠) عبد الله بن وهب المصرى الفقيه المشهور وصفه بالتدليس محمد بن سعد في طبقاته من الاولى مات سنة ١٩٩ هـ عن أربع وسبعين سنة٠

«ع٠» عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني متفق على ضعفه قال الحافظ: متروك وكان أحمر يثني عليه وقال يعني أحمد لعله كبر واختلط وكان يدلس من الخامسة توفي ســـنة ٢١٠ هـ ٠

(ع٠ ب٠) عبد الجليل عطيـــة القيسى أبو صالح المصرى عن شهر بن حوشب وغيره صدوق وثقة ابن معين وروى عنه ابو نعيم قـــــال البخارى ربما يهم وقد ذكره ابن حبان في ثقاته وقال : يعتبر حديثه عند بيان السماع في خبره اذا روى عن الثقات وكان راوية بثناء ومعنى هذا انه يدلس من الطبقة الثالثة مـــن طبقات المدلسين الخمسة ٠

«ع٠» عبد ربه بن نافع ابو شهاب الحناط بالمهملة والنون نزيل المدائن وثقة ابن معين ولينه النسائي وأشار الخطيب في مقدمة تاريخه الى أنـــه دلس حديثا من الاولى توفي ســـنة ١٧١ هـ ٠

(ع٠ب٠) عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقي ذكر ابن حبـــان في الضعفاء انه كان مدلسا وكذا وصفه به الدارقطني : قال ابو العرب :سمع

الافريقي من جله التابعين وكان قدولى قضاء افريقيا وكان عدلا صلبا في قضاءه ، وانكروا عليه أحاديث ذكرها البهلول بن راشد ٠ قال : سمعت سفيان الثورى يقول : جاءنا الافريقي بستة أحاديث يرفعها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لـــم أسمع أحدا يرفعها :

أولا ـ حديث امهات الاولاد ٠ ثانيا ـ حديث الســرانى حين اذن قبل بلال فأراد بلال أن يقيـــم ٠ فقال صلى الله عليه وسلم أن أخـــا سدار قد أذن ومن أذن فهـــو يقيم ثالثا ـ اذا رفع الرجل رأسه من آخر سجدة واستوى جالسا فقـــد تمت صلاته وان أحدث ٠ رابعا ـ حديث قال النبى صلى الله عليه وسلم : لاحيرة في من لم يكن عالما أو متعلما ـ خامسا ـ حديث قال النبى صلى الله عليه وسلم : اغدو عالما أو متعلما ولا تكن الثالث فتهلك ، سادسا ـ قول النبى صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل ٠ آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة قال أبو العرب فهذه الغرائب التى لم يروها غيره ضعف ابن معين حديثه قال عيسى بن سكين : قال محمد بن سحنون قلت لسحنون ان أبا حفص الفلاسي قال ما سمعت يحيى بن سعد القطان وعبد الرحمن بن مهـــدى يحدثان عن الافريقي فقال : سحنون لم يصنعا شيئا فان عبد الرحمن ثقة من الخامسة توفى سنة ١٥٦ هـ ٠

(ع٠) عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ثقة قال ابن معين من ابيه وقال ابن المدينى لقى أباه وسمع منه حديثين ، حديث الضب وحديث تأخير الوليد الصلاة العجلى يقال انه لـــم يسمع من أبيه الا حرفا واحدا ٠ محرم الحلال كمستحل الحرام وذكر البخارى في التاريخ الاوسط من طريق ابن خيثم عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه انى مع ابنى فذكر الحديث٠ في تأخير الوليد الصلاة ٠ قـــال البخارى سمعته يقول لم يسمع من أبيه وحديث ابن خيثم أولى عندى ٠ وقال أحمد كان له عند أبيه ســـت سنين ٠ والثورى وشريك يقولان سمع من أبيه واسرائيل يقول في حديث الضب عنه سمعت واخـــرج البخارى في التاريخ الصغير من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه لمـــا حضرت عبد الله الوفاة قلت له أوصنى قال اياك من خطيئتك ، وسنده لا بأس به ٠ قال الحافظ فعلى هذا يكون الذى صرح فيه بالسماع من أبيـــه أربعة أحدها موقوف وحديثه عنـــه كثير ففى السند خمسة عشر وفى المسند زيادة على ذلك سبعة أحاديث معظمها بالعنعنة وهذا هو التدليس ٠ من الثالثة ٠ توفى سنة ٧٧ هجرية

(ع٠) عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربى : محدث مشهور ٠ من طبقة عبد الله ابن نمير تكلم فيـــه بالتدليس : قال عبد الله بن أحمـــد بن حنبل عن أبيه بلغنا انه كان يدلس من الثالثة ٠ توفى سنة ١٩٥ هجرية٠

كتاب اسرار الباطنية لمحمد بن مالك

(٢)

وقد رأيت أيها الناس وفقنا اللهواياكم للصواب وجنبنا واياكم طرق الكفر والارتياب ان أذكر أحبال هذهالدعوة الملعونة لئلا يميل الى مذهبهم مائل ولا يصبو الى مقالتهم لبيب عاقلويكون فى هذا القدر من الكلام فى هذا الكتاب انذار لمن نظره ، واعذار لمنوقف عليه واعتبره ٠

باب : اعلموا يا اخوانى فىالاسلامأن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولاوللاصول فروعا وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوىبها الشيطان أهلالكفر والشقوة ظهور « عبد الله (١) بن ميمون القداح » فى الكوفةوما كانله من الاخبار المعروفة والمنـــكرات المشهورة الموصوفة ودخوله فى طرقالفلسفة واستعماله الكتب المـزخرفة وتمشيته اياها على الطغام ٠ ومكيدتهلاهل الاسلام ٠

وكان ظهوره فى سنة ستوسبعينومائتين من التاريخ للهجرة النبـــوية فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهـمالغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور » وجعل لكل آية منكتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن

---

(١) المصنف يذكر ميمونا مرة وابنه أخرى كما هنا وقد جارينا الاصل فى ذلك ، وفيما يسوقه من انبائهما هنا بعض مخالفة لما ذكرهعبد القاهر فى (الفرق) وابن النديم فى (الفهرست) والمقريزى فى (الخطط)وغيرهمفكل منهم دون ما بلغه من الانباء وفى تمحيص ذلك كله طول ٠

رسول الله صلى الله عله وسلم تأويلا وزخرف الاقوال وضرب الامثال وجعل لآى القرآن شكلا يوازيه ومثلا يضاهيه وكان الملعون عارفا بالنجوم معطلا لجميع العلوم « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » فجعل أصل دعوته التى دعاها وأساس بنيته التى بناها الدعاء الى الله والى رسوله ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله والاختصاص لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بالتقديم والامامة والطعن على جميع الصحابة بالسب والاذى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «لعن الله من سب أصحابى » (١) • وقال عليه السلام « اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٢) **وقال صلى الله عليه وسلم : « من سب اصحابى (٣) فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على وجهه فى النار » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال وزين لهم الكفر والضلال وله شرح يطول فيه الخطاب غير انى اختصر وفيما اشرحه كفاية واعتبار لاولى الالباب والابصار•**

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية (٤) وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا يخدم (شيعة) اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله فى اليهود من عداوة الاسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يروجها يدخل به على الناس حتى يردهم عن الاسلام الطف من دعوته الى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد خرج فى أيام قرمط (٥) البقار وكان اسمه اولقبه لانه كان يقرمط فى سيره اذا مشى (٦) ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون الى قرمط لانهما

---

(١) ولفظ الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا (من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) وفى سنن الترمذى (اذا رأيتم الذين يسبون اصحابى فقولوا لعنة الله على شركم وفى الباب أحاديث يعضد بعضها بعضا•• (٢) اخرجه رزين وله طرق ضعيفة • (٣) ولفظ ام سلمة عند احمد (من سب عليا فقد سبنى) (٤) سلمية : بليدة بالشام من اعمال حمص • (٥) قرمط • وهو حمدان بن الاشعث وكان خروجه سنة ٢٦٤ كما يذكره ابن المهذب • وكان ظهور الجنابى بالبحرين سنة ٢٨٦ • (٦) يعنى يقارب بين خطواته • ومنهم من يقول انه كان احمر البشرة فلقب بقرمطو (كرمت ، الآجر فى اللغة الرومية فعرب

اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان اليه وكانا يعرفان النجوم وأحكام الزمان فدلهما الوقت على تأسيس ما عملاه فخرج ميمون الى الكوفة وأقام بها مدة وله أخبار يطول شرحها مما كان منه ومن على بن فضل والمنصور صاحب مسور وأبى سعيد الجنابى وأنا اشرح ذلك عند انتهائى اليه ان شاء الله تعالى وأما قرمط البقار فانه خرج الى بغداد فقتل هنالك لا رحمه الله .

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل ضلالته ، ومذهبه :

وكان أول أولاد عبيد (١) وهو المهدى ثم (محمد) وهو القائم ثم (الطاهر) اسماعيل المنصور ثم (المعز) ثم (العزيز) ثم (الحاكم) ثم (الطاهر) ثم (معد المستنصر (٢) هؤلاء الذين ينسبون اليه الى عصرنا هذا فانتسبوا الى ولد الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وانتحالهم انتحال كاذب وليس لهم فى ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فانهم لم يجدوا لهم فى الشرف أصلا مذكورا ولا عرفوا لهم فى كتاب الشجرة نسبا مشهورا بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب الا من دخل معهم فى كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهم بالزور ويساعدهم فى جميع الامور وقد زعموا انهم من ولد محمد اسماعيل بن جعفر الصادق وحاش لله ما كان لمحمد اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار » .

وقيل قرمد ثم قرمط . (١) اليه تنسب دولتهم فيقال (الدولة العبيدية بمصر) ويتورع أهل التحرى من تلقيب دولتهم (بالفاطميين) حيث لم يثبت نسبهم المزعوم كما حققه أهل التحرى من ثقات المؤرخين . (٢) والمستنصر هذا توفى سنة ٤٨٧ هـ فيكون المؤلف من رجال أواسط القرن الخامس .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه انهم يقولون معد المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى وهو عبيد (١) بن ميمون ثم يقولون ابن الائمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق فاذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب (٢) وكان للسائل لهم الارتياب . وقالوا هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولاذكرهم لأحد وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا اليه .

والدليل على أنهم من أولاد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد.

---

(١) لم أر من جعل عبيدا ابن ميمون مباشرة والمشهور انه سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون . خرج سعيد هذا متنكرا الى مصر ثم الى المغرب فادعى هناك انه علوى فاطمى بعد أن ادعى قبل ذلك انه عقيل - وتسمى هناك أيضا عبيد الله وتلقب بالمهدى حتى تم له ما هو مشروح فى التواريخ (٢) ومن المعروف عند المؤرخين أن المعز العبيدى لما قرب الى مصر بعد فتحها بمعرفة قائده وخرج الناس تلقائه اجتمع به جماعة من الاشراف فقال له احدهم : (الى من ينتسب مولانا ؟ فقال له المعز سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا واطعنا) وفى المحضر الذى أصدره أهل العلم ببغداد سنة ٤٠٢ هـ ... انهم ادعياء لا نسب لهم فى ولد على رضى الله عنه .. » ومن جملة من وقع عليه الشريفان الرضى والمرتضى وابو محمد الاكفانى القاضى وابو حامد الاسفرايينى ، وابو حسين لقدورى وغيرهم من كبار الائمة وهذا حكم شرعى يجب أن يخضع له ولو أعطى احد هؤلاء الدنيا بحذافيرها لما حكم بما يخالف الحق والصدق عندهم كما لا يخفى على من درس سيرهم ، والشعر المنسوب الى الشريف الرضى غير متصور ثبوته عنه ، ولم يكن القادر بالله بقادر على اكراههم على خلاف ما يرونه ، وكلمة ابن خلدون عن هوى خاص وكذا توهم المقريزى كما هو مبسوط فى « الاعلان بالتوبيخ » للسخاوى .

باب خروج ميمون القداح مــن سلمية الى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدى فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ تهما ما كانا يطلبان والى أن اجابهما الى ذلك تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون منهم على بن فضل الجدنى اليمانى • وأبو القاسم ابن زاذان الكوفى المسمى المنصور عند كونه فى اليمن فى مسور وأبو سعيد الجنابى صاحب الاحساء والبحرين وابو عبد الله الشيعى صاحب كتامة فى المغرب والحسن(١) بن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ومحمد بن زكريا الخارج فى الكوفة ولا بد ان أذكر أصح خبر كل واحد منهــم مختصرا ان شاء الله تعالى :

باب ذكر أبى سعيد الجنابى لعنه الله :

كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء وادعى فيها انه المهدى القائم بدين الله فاستفتح(٢) ••• ودخل مكة وقتل الناس فى المسجد الحرام ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به الى الاحساء وقال فى ذلك شعرا :

ولو كان هذا البيت لله ربنــا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا

لانا حججنا حجة جاهليـــة ... مجللة لم نبق شرقا ولا غربـا

وانا تركنا بين زمزم والصفـا ... جنائز لا تبغى سـوى ربها ربا

وله لعنه الله أشعار فى ذلــك تركتها اختصارا وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه لعنة الله •

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع :

خرج فيما وراء النهر وله أخبــار شنيعة وكان حكيما فيلسوفا ملعونا ذكرو انه عمل قمرا بالطلسم يطلع فى السنة أربعين ليلة ولقد كنت أكذب

---

(١) وله عدة اسماء عطاء وحكيم • (٢) هنا بالاصل نقص ولعل الناقص (ثم قتله خادم له صقلبى راوده فى الحمام سنة ٣٠١ هـ وتولى بعده ابنه الاكبر سعيد فغلبه اخــوه الاصغر ابو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى حتى استفحل أمره •

ذلك حتى صححه لى جماعة من أهـل خراسان وذكروا انه بنى حصنا وعمل فيه لولبا فكان المسلمون اذا أتـوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون فمال اليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم بغلام حكيم فأمـر المسلمين أن يحفروا حـول الحصن فوقعوا على اللوالب فأخرجوها ودخلوا عليه فقتلوه وقيل انه احرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه ٠

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله :

احسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطى وكان قد خرج بالكوفة فخرج اليه المكتفى أمير المؤمنين من بنى العباس فقتله لعنه الله ولا رحمه ٠

صدقة مقبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد ٠ على سارق ؟ لأتصدقن بصـدقة ٠ فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ٠ فقال : اللهم لك الحمد ٠ على زانية ؟ لأتصدقن بصدقة ٠ فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنى ٠ فقال : اللهم لك الحمد ٠ على سـارق وزانية وغنى ؟؟ فأتى فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته وأما الزانية فلعلهـا أن تستعف عن زناها وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله ٠

متفق عليه ٠٠

(تتمة / التراويح)

فهذا نص لا حدّ فيه وأنه يصلي مثنى مثنى إلى أن يخشى الصبح .

وساقه البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل .

وحديث مسروق عن عائشة أنه سألها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتين الفجر .

ثم بوّب البخاري أيضاً باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان وغيره .

وساق بسنده إلى عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلي ثلاثاً : قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .

ولئن كانت عائشة وصفت صلاته صلى الله عليه وسلم بالطول والحسن وحددتها بإحدى عشرة ركعة فقد جاء حديث حذيفة عند مسلم أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة ، وكان إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، أو سؤال سأل ، أو تعوذ تعوذ . ثم ركع نحواً مما قام . ثم قام نحواً مما ركع . ثم سجد نحواً مما قام . قال ابن حجر بعد أن أورد هذا الحديث : وهذا إنما يتأتى في نحو ساعتين ، فلعله أحيا تلك الليلة كلها .

فهذا مما يدل على طول القيام إلى حد أن تستغرق الركعة الواحدة ساعتين .

وقد جاء عند البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء . قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل لنا من هذا كله أن صلاة التراويح كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنها مشروعة عنه صلى الله عليه وسلم ابتداء وأنها أخذت تتطور على عدة مراحل فكانت كالآتي :

تطورها في العصر النبـوي :

١ ـ أولاً : بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم .

٢ ـ ثانياً : انتقلت إلى السنة والندب مقرونة بفرضية الصيام .

٣ ـ ثالثاً : أديت بالفعل أداها أوزاع من الناس .

٤ ــ رابعاً : تسلل الناس إلى مصلاه صلى الله عليه وسلم فأتموا به صلى الله عليه وسلم وهو لا يشعر بهم وهو لا يقر على باطل .

٥ ــ خامساً : تقريره صلوات الله وسلامه عليه لمن يصلي بالناس سواء في المسجد أو في البيت .

٦ ــ سادساً : صلاته هو صلى الله عليه وسلم بالفعل بأهل بيته .

٧ ــ سابعاً : صلاته هو صلى الله عليه وسلم بالفعل بأهل بيته وبالناس عدة ليال متفرقة .

أما العدد أي عدد الركعات :

أ ــ فقد صلى أربع ركعات استغرقت الليل كله .

ب ــ وصلى ثمان ركعات .

جـ ــ وصلى إحدى عشر ركعة لا تسل عن حسنهن وطولهن .

د ــ وصلى ثلاث عشرة ركعة .

وهذا ما يقتصر عليه بعض المتأخرين ولكن :

١ ــ جاء الإطلاق بدون حد من قام رمضان إيماناً واحتساباً .

٢ ــ جاء تقريره على طلب الزيادة لو نفلتنا بقية ليلتنا ؟

٣ ــ وهناك مبحث لم يتطرق إليه أحد فيما أعلم وهو :

أن عائشة رضي الله عنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط ودخل بيتي إلاّ وصلى أربعاً أو ستاً وجاء عنها أنه كان يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين .

فلو جمعنا حديث ابن عباس ١٣ ركعة مع حديث عائشة ٦ بعد العشاء مع ٢ ركعتين يفتتح بهما صلاة الليل لكان مجموع ذلك كله ١٣ * ٦ = ١٩ * ٢ = ٢١ إحدى وعشرون ركعة . وهو العدد الذي جمع عمر رضي الله عنه الناس عليه مع أبي بن كعب ويكون هذا العدد مستنداً إلى سنة لا مجرد اختيار عمر رضي الله عنه والله أعلم .

وبعد هذا فلا يحق لأحد أن يمنع الزيادة على ثمان ركعات وقوفاً عند حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها أو يعيب فعل عمر متهماً إياه بمخالفة السنة حاشاه رضي الله عنه .

عهد الصديق رضي الله عنه :

كان عهد الصديق رضي الله عنه غير طويل ، وكان الناس حدثاء عهد بعهد النبوة فلم تتكون عوامل تغير تذكر بالنسبة للتراويح . ولهذا لم يذكر أحد أن التراويح في عهد الصديق رضي الله عنه طرأ عليها جديد . مستدلين بحديث أبي هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغّب في قيام

رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك . قال البيهقي : زاد أحمد ابن منصور الرمادي في رواتبه في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رواه مسلم في الصحيح . ورواه مالك بسنده إلى ابن شهاب . وتوفي رسول الله صلى الله علية وسلم والأمر على ذلك . وكان الأمر على ذلك في صدر خلافة أبي بكر ، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه .

ولكن حديث عائشة عند البيهقي قالت : كنا نأخذ الصبيان من الكتاب ليقوموا بنا في شهر رمضان فنعمل لهم (القلية) و (الخشكنانج) وعند المروزي : فنعمل لهم القلية والخشكار وهو خبز السمراء .

فهو نص على إقامة التراويح بإمامة الصبيان . وقطعاً لم يكن ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان في عهد الصديق فيكون تطوراً جديداً أم في عهد عمر ؟ والذي يظهر أنّه كان في عهد الصديق رضي الله عنه لأنه كان في عهد عمر كما سيأتي ترتيب أئمة للرجال وإمام للنساء وعلى كل ففيه تطور جديد ، فإن كان في عهد الصديق فهو جديد عمّا كان من قبل وهو الراجح وإن كان في عهد عمر فيغلب على الظن أن ذلك كان في البيوت لأنهن لن يأخذن الصبيان من الكتاب وعمر جاعل إماماً لهن . ولا سيما عائشة رضي الله عنها . فأحرى بها رضي الله عنها أن تصلي في بيتها ، وقد يجتمع لها من النساء .

القراءة زمن الصديق :

وقد ظلت القراءة طويلة في زمن الصديق رضي الله عنه لما في حديث عبد الله ولد الصديق ، فعن مالك عن عبد الله بن أبي بكر سمعت أبي يقول : كنا ننصرف في رمضان من القيام فنستعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر .

وقد طرأ في هذا العصر أيضاً نوع مقارنة بين القراء . فكان الناس يميلون إلى من كان حسن الصوت بالقراءة كما سيأتي إيضاحه إن شاء الله في عهد عمر رضي الله عنه.

في عهد عمر رضي الله عنه :

جاء **عهد** عمر رضي الله عنه والحال كما كان عليه من قبل يصلون أوزاعاً فرادى وجماعات في البيوت وفي المسجد يصور ذلك أكمل تصوير أثران ، هما : أثر إياس الهذلي ، وأثر عبد الرحمن ابن عبد .

أ ـ الأثر الأول : عن نوفل قال

إياس الهذلي : كان الناس يقومون في رمضان في المسجد وكانوا إذا سمعوا قارئاً حسن القراءة مالوا إليه . فقال عمر رضي الله عنه : قد اتخذوا القرآن أغاني والله لئن استطعت لأغيرن هذا ، فلم تمر ثلاث حتى جمع الناس على أبي بن كعب . وقال عمر : إن كانت هذه بدعة لنعمة البدعة . رواه المروزي .

ب — الأثر الثاني : وهو أثر عبد الرحمن بن عبيد بالتنوين (القارّى) خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه . ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي ابن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم : نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون . يعني آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . رواه البخاري.

التطور الجديد :

نجد في الأثرين السابقين تطوراً جديداً على يد عمر رضي الله عنه وهو جمع الأوزاع والأشتات على قارىء واحد . وهذا التطور وإن تعددت أسبابه فقد جمع عدة مصالح .

فالأثر الأول يشير إلى أن السبب له صلة بحسن القراءة ، وفي هذا مجال فسيح لمنافسة القراء وتسابق المصلين ، وهو أمر لو طال به المدى لابتعدت الشقة بسببه بين المصلين ، فوحد القارىء لتتوحد القراءة . وقد يؤخذ منها تقديم درىء المفسدة على جلب المصلحة لأن تتبع المصلين لمن هو أحسن صوتاً مجال لتحسين الصوت بالقراءة وهو أمر مرغوب فيه . غير أنه قد يكون مدعاة إلى التغالي حتى يصل إلى التغني كما أشار عمر رضي الله عنه من قبل فجمعهم على قارىء واحد سداً للذريعة ودرءاً للمفسدة .

والأثر الثاني يشير إلى وجود جماعات وأفراد لا تربطهم عوامل موحدة ، ولو طال بهم المدى أيضاً لافتقدوا عامل الإئتلاف والإتحاد وضاعت ثمرة الجماعة . فوحد الإمام ليتجمع المأموم ، وكانت نعمة البدعة في كلا الأمرين . وإلى هنا تم توحيد المصلين للتراويح على إمام واحد وهو أبي بن كعب .

تعدد الأئمة :

وقد جاء رضي الله عنه أنه جعل إمامين للرجال وهما : أبي بن كعب وتميم الداري ، وكانا يقومان في الليلة الواحدة يتناوبان . يبتدىء الثاني حيث ينتهي الأول . كما جاء في رواية السائب

ابن يزيد قال : أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري رضي الله عنهما أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة ، وذلك مع المحافظة على طول القراءة كما في الرواية الأخرى له : كنا نصلي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان ثلاث عشرة ركعة ، ولكن والله ما كنا نخرج إلاّ وجاه الصبح كان القارىء يقرأ في كل ركعة بخمسين آية ، ستين آية . وكما في رواية السائب أيضاً : أنهم كانوا يقرؤون بالمئين من القرآن ، وأنهـم كانـوا يعتمدون على العصى في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فالذي تجدد في هذين الأثرين هو :

أ ـ تعدد الأئمة بعد إمام واحد . وهو أبي ، وسواء كان ذلك رفقاً بالإمام الأول فجعل معه آخر يساعده ، أو كان ترويحاً للمأمومين ، وتنشيطاً للمصلين ، ولا سيما وقد كانوا حدثاء عهد بتعدد من الأئمة حينما كانوا يصلون أوزاعاً .

وقد مضى عمر رضي الله عنه إلى أبعد من هذا ، فجعل إماماً للنساء ، وانتخب أكثر من إمام للتراويح ، أما إمام النساء فهو سليمان بن أبي حتمة . فكما جاء عند المروزي قال : وعن هشام بن عروة عن أبيه : جعل عمر ابن الخطاب للناس قارئين ، فكان أبي بن كعب يصلي بالرجال ، وكان ابن أبي حتمة يصلي بالنساء . فهذا الأثر يفيد أن إمامة سليمان ابن أبي حتمة بالنساء كانت أثناء إمامة أبي للرجال ، أي أنهما كانا يصليان في وقت . هذا لهؤلاء وهذا لؤلائي .

وقد كان ذلك أقصى ما وصلت إليه التراويح من حيث النشاط والصبر وطول القيام ، وكثرة القراءة .

ثم أخذت في التدرج إلى الأسهل فتعددت الأئمة وخُففت القراءة وكثرت الركعات .

أما تعدد الأئمة أكثر من ذلك فهو كما في رواية عاصم عن أبي عثمان رحمه الله أن عمر رضي الله عنه ، جمع القرآن في رمضان فأمر أخفهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية وأوسطهم خمساً وعشرين ، وأثقلهم قراءة عشرين .

فنرى هنا تعدد الأئمة وهو أكثر ترويحاً وتخفيفاً على نفس الإمام وعلى المأمومين ، ثم نرى أيضاً تخفيف القراءة فأقصاها ثلاثون بعد أن كانت تصل إلى الستين والمئين . بل نجد أثراً آخر وهو أن عمر رضي الله عنه أمر أبياً فأمهم في رمضان فكانوا ينامون ربع الليل ، ويقومون ربعه ، وينصرفون بربـع لسحورهم وحوائجهم . وكان يقرأ بهم خمس آيات وست آيات في كل ركعة ويصلي بهم ثمان عشر ركعة شفعاً

يسلم في كل ركعتين ، ويروحهم قدر ما يتوضأ المتوضيء ، ويقضي حاجته ، بهذا يتضح إلى أي مدى حدث تغيير وتخفيف في الكيفية والقراءة .

أما عدد الركعات فكالآتي :

١ ـ فتقدم أن أول ما أمر عمر أبياً أن يقوم بالناس أنه أمره بثمان ركعات . وكان يقرأ فيها بالمئين ، وكانوا لا ينصرفون إلاّ في وجه الفجر .

٢ ـ وتقدّم أن عمر أمر أبياً وتميماً أن يقوما للناس ثلاث عشرة ركعة . وهذا بالنسبة إلى ما جاء من ثمان ركعات ، يكون معها ثلاث وتراً .

وقد جاءت رواية محمد بن سيرين أن معاذاً أبا حليمة القارّى كان يصلي بالناس إحدى وأربعين ركعة . ومعاذ أبو حليمة هذا ، قال في التقريب : هو معاذ بن الحارث الأنصاري البخاري القارّي أحد من أقامه عمر بمصلى التراويح . وقيل هو آخر يكنى أبا الحارث صحابي صغير . استشهد بالحرة . . . هـ .

والحرة كانت سنة ٦٣ يؤيد هذا العدد ويفصله رواية أبي زيد عن صالح مولى التوأمة قال : أدركت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين ركعة يوترون فيها بخمسة ، فكانت التراويح إحدى وأربعين ينقصها أي ستة وثلاثون ركعـــة .

وصالح هذا قال عنه في التقريب : هو صالح بن نبهان المدني مولى التوأمة بفتح المثناة وسكون الواو وبعدها همزة ، مفتوحة . صدوق اختلط في آخر أمره .

قال ابن عدي : لا بأس برواية القدماء عنه كابن أبي زيد وابن جرير من الرابعة مات سنة ١٢٥ . والرواية هنا عنه من رواية الأقدمين . وهو ابن أبي ذئب ، كما مثل ابن عدي لما لا بأس به عنه . فهو هنا يقول : أدركت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين يوترون منها بخمسة . وهذا موافق لما قاله محمد بن سيرين أن معاذ بن حليمة القارّي كان يصلي بالنـــاس إحدى وأربعين ركعة أي ستاً وثلاثين قياماً وخمسة وتراً .

أ ـ فتكون التراويح زمن عمر رضي الله عنه بدأت بثلاث عشرة ركعة أي بما فيهـا الوتـر .

ب ـ ثم إلى ثلاث وعشرين بما فيها الوتر ثلاث .

جـ ـ ثم بست وثلاثين ومعها خمس ركعات وتراً . والمجموع إحدى وأربعون ركعة إلاّ أننا نلاحظ أن كثرة الركعات معها تخفيف القراءة لأنه :

أولاً : ثمان ركعات ، أو ثمان عشرة ركعة ، يقرؤون بالمئين . وكانوا

لا ينصرفون إلاّ على وجه الفجر . وعليه قلنا تكون القراءة لست وثلاثين ركعة ، كالقراءة لثمان أو لست عشرة ركعة .

بل وجدنا عملياً أن عمر رضي الله عنه جمع القراء فأمر من كان أخف قراءة أن يقرأ بثلاثين بينما كانت القراءة بخمسين ، بستين كما تقدم .

وعليه لا يكون تعارض بين الروايات الواردة وعدد الركعات للتراويح زمن عمر رضي الله عنه . كما قال الباجي رحمه الله في شرحه للموطأ ج ١ ص٢٠٨ ما ملخصه : قد اختلفت الروايات فيما كان يصلى به في رمضان في زمان عمر رضي الله عنه . فروى السائب ابن يزيد : إحدى عشرة ركعة ، وروى يزيد بن رومان ثلاثاً وعشرين ركعة ، وروى نافع مولى ابن عمر أنه أدرك الناس يصلون بتسع وثلاثين ركعة يوترون فيها بثلاث .

فيحتمل أن يكون عمر رضي الله عنه بدأ بثمان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أفاده حديث عائشة المتقدم : ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ولا في غيره على ثمان ركعات . وأمرهم مع ذلك بطول القراءة يقرأ القارىء بالمئين في الركعة فلما ضعف الناس عن ذلك أمرهم بثلاث وعشرين ركعة على وجه التخفيف عنهم من طول القيام ، واستدرك بعض الفضيلة بزيادة الركعات وكان يقرأ البقرة في ثمان ركعات أو اثني عشر ، وقد قيل : أنه كان يقرأ من ثلاثين آية إلى عشرين آية . وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة ، فثقل عليهم القيام فنقصوا من القراءة وزادوا في عدد الركعات فجاءت ستاً وثلاثين ركعة والوتر بثلاث فمضى الأمر على ذلك ولعل التخفيف إلى ست وثلاثين وقع قبل الحرة كما جاء في رواية محمد ابن سيرين أن معاذ أبا حليمة كان يقوم بهم إحدى وأربعين ركعة . وهو ما مات إلاّ في وقعة الحرة .

والذي يهمنا ما ظهر من التدرج في التراويح زمن عمر رضي الله عنه بالتخفيف من القراءة وزيادة عدد الركعات . فكانت قلة الركعات معها كثرة قراءة . وكثرة القراءة معها قلة الركعات .

مناقشة « نعمة البدعة » :

وقبل أن ننتقل من عهد عمر إلى عهد عثمان رضي الله عنهما يحسن إيراد الجواب على قول عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة لجمعه الناس على قارىء واحد وصلاتهم إياها في جماعة فما مراده بقوله هذا وما الجمع بين قوله : نعمت وبين كونها بدعة ؟

وخير ما نسوق في ذلك هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في

كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٢٧٥ ما نصه قال : فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة ، بل هي سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله ، فإنه قال : إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه . ولا صلاتها جماعة بدعة بل هي سنة في الشريعة بل قد صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين ، بل ثلاثاً . وصلاها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات . وقال : إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة . لما قام بهم حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح ، رواه أهل السنن .

وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال الإنفراد . وفي قوله هذا ترغيب في قيام شهر رمضان خلف الإمام. وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقة.

وكان الناس يصلون جماعة في المسجد على عهده صلى الله عليه وسلم ويقرهم وإقراره سنة منه صلى الله عليه وسلم وأما قول عمر : « نعمت البدعة هذه » فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت حكماً بقول عمر الذي لم يخالف فيه — لقالوا : « قول الصاحب ليس بحجة » .

فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن اعتقد أن قول الصاحب حجة فلا يعتقده إذا خالف الحديث .

فعلى التقديرين : لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب . نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين . فيفيدهم هذا (حسن تلك البدعة) أما غيرها فلا .

ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة ، مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية ، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق ، وأما البدعة الشرعية . فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي .

فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دلّ على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته ، أو دلّ عليه مطلقاً ولم يعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه . فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى « بدعة » في اللغة ، لأنه عمل مبتدأ ، كما أن نفس

---

(١) والظاهر أن مراد شيخ الاسلام بقوله : وفي قوله هذا ترغيب ... الخ أنه اراد الحديث الذى احتج به أحمد لا أنه أراد قول أحمد نفسه.

الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة ويسمى محدثاً في اللغة . كما قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين إلى الحبشة « وإن هؤلاء خرجوامن دين آبائهم ، ولم يدخلوا في دين الملك ، وجاؤوا بدين محدث لا يعرف » .

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة ، وإن سمي بدعة في اللغة . فلفظ « البدعة » في اللغة أعم من لفظ « البدعة » في الشريعة .

وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » لم يرد به كل عمل مبتدأ ، فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ . وإنما أراد : ما ابتدىء من الأعمال التي لم يشرعها هو صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى . وقد قال لهم في الليلة الثالثة ، أو الرابعة لما اجتمعوا : « إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلاّ كراهة أن يُفرض عليكم فصلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة » . فعلل صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية الإفتراض ، وخوف الإفتراض قد زال بموته صلى الله عليه وسلم فانتفى المعارض .

وساق بعد ذلك أدلة أخرى كجمع القرآن ونفي عمر ليهود خيبر ، وقتال أبي بكر لمانعي الزكاة . ثم قال مبيناً ضابط البدعة الحسنة من السيئة بما نصه : (والضابط في هذا والله أعلم أن يقال : إن الناس لا يُحدثون شيئاً إلاّ لأنهم يرونه مصلحة ، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه . فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين فما رآه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحوج إليه ، فإن كان السبب المحوج إليه أمراً حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه (وقال رحمه الله عبارة مفادها أن ترك النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر من غير تفريط) .

وكذلك إن كان المقتضى لفعله قائماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن تركه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارض قد زال بموته . هـ .

هذا هو كلام شيخ الإسلام بنصه في بيان كلمة عمر رضي الله عنه « نعمت البدعة » . وأعتقد أنه واضح في الرد على من يحتج بها على أن صلاة التراويح جماعة بدعة أو أن العدد الذي ورد عن عمر رضي الله عنه فيها ٢١ ركعة بدعة .

غير أن البحث في إثبات ذلك العدد عنه أو عدم إثباته . ويكفي في ذلك روايات مالك في الموطأ . والله تعالى أعلم

لفضيلة الشيخ
عبد العزيز بن باز
نائب رئيس الجامعة
الإسلامية



ليس في الأدلة النقلية فيما نعلم ما يدل على امتناع الوصول إلى الكواكب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، أما بعد فقد تكرر السؤال هذه الأيام عمّا يدعيه بعض رواد الفضاء من الوصول إلى سطح القمر وعمّا يحاولونه من الوصول إلى غيره من الكواكب ، ولكثرة التساؤل والخوض في ذلك رأيت أن أكتب كلمة في الموضوع تنير السبيل ، وترشد إلى الحق في هذا الباب — إن شاء الله — فأقول : إن الله سبحانه وتعالى حرّم على عباده القول بغير علم وحذّرهم من ذلك في كتابه المبين فقال عزّ وجلّ : (قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وأخبر سبحانه أن الشيطان يأمر بالقول عليه بغير علم فقال تعالى : (يا أيها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيباً ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتثبت في أخبار الفاسقين فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فالواجب على

المسلمين عموماً، وعلى طلبة العلم خصوصاً الحذر من القول على الله بغير علم

فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول هذا حلال ، وهذا حرام ، أو هذا جائز ، وهذا ممتنع إلاّ بحجة يحسن الإعتماد عليها ، وإلاّ فليسعه ما وسع أهل العلم قبله وهو الإمساك عن الخوض فيما لا يعلم وأن يقول : الله أعلم أو لا أدري .

وما أحسن قول الملائكة عليهم السلام لربهم عزّ وجلّ : (سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم إذا سألهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء لا يعلمونه قالوا : (الله ورسوله أعلم) وما ذاك إلاّ لكمال علمهم وإيمانهم وتعظيمهم لله عزّ وجلّ وبعدهم عن التكلف ، ومن هذا الباب وجوب التثبت فيما يقوله الكفار ، والفساق وغيرهم عن الكواكب وخواصها وإمكان الوصول إليها وما يلتحق بذلك فالواجب على المسلمين في هذا الباب كغيره من الأبواب التثبت وعدم المبادرة بالتصديق أو التكذيب إلاّ بعد حصول المعلومات الكافية التي يستطيع المسلم أن يعتمد عليها ويطمئن إليها في التصديق أو التكذيب ، وهذا هو معنى قوله سبحانه في الآية السابقة من سورة الحجرات : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية ، والتبين هو التثبت حتى توجد معلومات أو قرائن تشهد لخبر الفاسق بما يصدقه أو يكذبه ولم يقل سبحانه : (إن جاءكم فاسق بنبأ فردوا خبره) بل قال : (فتبينوا) لأن الفاسق سواء كان كافراً أو مسلماً عاصياً قد يصدق في خبره فوجب التثبت في أمره ، وقد أنكر الله سبحانه على الكفار تكذيبهم بالقرآن بغير علم فقال جلّ وعلا : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في قصيدته الكافية الشافية :

إن البدار بردّ شيء لم تحط
علماً به سبب إلى الحرمان

وأعظم من ذلك وأخطر الإقدام على التكفير أو التفسيق بغير حجة يعتمد عليها من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا شك أن هذا من الجرأة على الله ، وعلى دينه ومن القول عليه بغير علم ، وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح رضي الله عنهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان ، وقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) وقال صلى الله عليه وسلم : (من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلاّ حار عليه) أي رجع عليه ما قال وهذا وعيد شديد يوجب الحذر من التكفير والتفسيق إلاّ عن علم وبصيرة ، كما أن ذلك وما ورد في معناه يوجب الحذر من ورطات اللسان والحرص على حفظه إلاّ من الخير — إذا علم هذا — .

فلنرجع إلى موضوع البحث المقصود فنقول قد تأملنا ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المشتملة على ذكر الشمس والقمر والكواكب فلم نجد فيها ما يدل دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب ، وهكذا السنة المطهرة لم نجد فيها ما يدل على عدم إمكان ذلك وقصارى ما يتعلق به من أنكر ذلك أو كفّر من قاله ما ذكره الله في كتابه الكريم في سورة الحجر حيث قال سبحانه : (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) وقال تعالى في سورة الفرقان : (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا) وقال في سورة الصافات : (إنّا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال سبحانه في سورة الملك : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال في سورة نوح : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا) وظنوا أن ما ذكره الله في هذه الآيات الكريمات ، وما جاء في معناها يدلّ على أن الكواكب في داخل السماء أو ملصقة بها فكيف يمكن الوصول إلى سطحها ، وتعلقوا أيضاً بما قاله بعض علماء الفلك من أن القمر في السماء الدنيا وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة ، وقد نقل ذلك كثير من المفسرين وسكتوا ، والجواب أن يقال ليس في الآيات المذكورات ما يدلّ على أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب في داخل السماء ولا أنها ملصقة بها ، وإنما تدل الآيات على أن هذه الكواكب في السماء وأنها زينة لها ، ولفظ السماء يطلق في اللغة العربية على كل ما علا وارتفع كما في قوله سبحانه : (أ أمنتم من

في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير) قال جماعة من المفسرين في هاتين الآيتين إن (في) للظرفيه وأن السماء المراد بها العلو واحتجوا بذلك على أن الله سبحانه في جهة العلو فوق العرش وما ذاك إلاّ لأن اطلاق السماء على العلو أمر معروف في اللغة العربية ، وقال آخرون من أهل التفسير إن (في) هنا بمعنى على وأن المراد بالسماء هنا السماء المبنية كما قال سبحانه : (فسيحوا في الأرض) أي على الأرض ، وعلى هذا يكون المعنى أن الله سبحانه فوق السماء فيوافق ذلك بقية الآيات الدالة على أنه سبحانه فوق العرش وأنه استوى عليه استواء يليق بجلاله عزّ وجلّ ولا يشابهه فيه استواء خلقه كما قال عزّ وجلّ : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقال سبحانه : (ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى : (فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) ومن أنكر هذا المعنى ووصف الله سبحانه وتعالى بخلافه فقد خالف الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على علو الله سبحانه واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل كما خالف إجماع سلف الأمة ، ومن هذا الباب قوله سبحانه في سورة البقرة : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ذكر جماعة من المفسرين أن المراد بقوله سبحانه في هذه الآية : (وأنزل من السماء ماءً) أن المراد بالسماء هنا هو السحاب سُمي بذلك لعلوه وارتفاعه فوق الناس ، ومن هذا الباب أيضاً قوله عزّ وجلّ في سورة الحج : (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء) الآية .. قال المفسرون معناه فليمدد بسبب إلى ما فوقه من سقف ونحوه فسماه سماء لعلوه بالنسبة إلى من تحته ، ومن هذا الباب قوله تعالى : (ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (الآية .. فقوله هنا في السماء أي في العلو ، وقال صاحب القاموس سما سموّاً ارتفع وبه أعلاه كأسماه إلى أن قال والسماء معروفة وتذكر وسقف كل شيء . انتهى ، والأدلة في هذا الباب من كلام الله سبحانه وكلام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المفسرين ، وأئمة اللغة

على إطلاق لفظ السماء على الشيء المرتفع كثيرة ، إذا عرف هذا فيحتمل أن يكون معنى الآيات أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء الدنيا والأرض وسماه سماء لعلوه وليس فيما علمنا من الأدلة ما يمنع ذلك ، وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم وهما قوله عزّ وجلّ في سورة الأنبياء : (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقوله سبحانه في سورة ياسين : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) ولو كانا ملصقين بالسماء لم يوصفا بالسبح لأن السبح هو الجري في الماء ونحوه ، وقد ذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره المشهور أن الفلك في لغة العرب هو الشيء الدائر وذكر في معناه عن السلف عدة أقوال ، ثم قال ما نصه : والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ (وكل في فلك يسبحون) ذكر عن الحسن كطاحونة الرحا ، وجائز أن يكون موجاً مكفوفاً ، وأن يكون قطب السماء ، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر فجمعه أفلاك ، ونقل رحمه الله عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم أنه قال ما نصه : الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم ، والشمس والقمر ، وقرأ : (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) وقال تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض ، انتهى .

وقد نقل الحافظ بن كثير رحمه الله في التفسير كلام ابن زيد هذا وأنكره ولا وجه لإنكاره عند التأمل لعدم الدليل على نكارته ، وقال النسفي في تفسيره ما نصه : والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم – انتهى .

وقال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ما نصه : «وقال أكثر المفسرين هو موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر» . انتهى . وعلى هذا القول في تفسير الفلك والآيات المتقدمة آنفاً لا يبقى إشكال في أن الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب لا يخالف الأدلة السمعية ، ولا يلزم منه قدح فيما دلّ عليه القرآن من كون الشمس ، والقمر في السماء ، ومن زعم أن المراد بالأفلاك السموات المبنية فليس لقوله حجة يعتمد عليها فيما نعلم بل ظاهر الأدلة النقلية وغيرها يدلّ على أن السموات السبع غير الأفلاك ، ويحتمل أنه أراد سبحانه بالسماء في الآيات

المتقدمة السماء الدنيا كما هو ظاهر في آية الحجر وهي قوله سبحانه : (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها وإنما أراد سبحانه أنها بقربها وتنسب إليها كما يقال في لغة العرب فلان مقيم في المدينة أو في مكة وإنما هو في ضواحيها وما حولها ، وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملصقة بها ولا دليل على ذلك بل يصح أن تسمى زينة لها وإن كانت منفصلة عنها وبينها وبينها فضاء كما يزيّن الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به ، ومع هذا يُقال في اللغة العربية فلان زيّن سقف بيته ، وإن كان بين الزينة والسقف فضاء ، وأما قوله سبحانه في سورة نوح : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) فليس في الأدلة ما يدل على أن معناه أن الشمس والقمر في داخل السموات وإنما معناه عند الأكثر أن نورهما في السموات لا أجرامهما فأجرامهما خارج السموات ونورهما في السموات والأرض ، وقد روى ابن جرير رحمه الله عند هذه الآية عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما ما يدل على هذا المعنى حيث قال في تفسيره : حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا ابن ثور عن عمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قبل السموات ، وأقفيتهما قبل الأرض . انتهى .

وفي سنده انقطاع لأن قتادة لم يدرك عبد الله بن عمرو ، ولعلّ هذا إن صحّ عنه مما تلقاه عن بني اسرائيل وظاهر الآية يدل على أن نورهما في السموات لا أجرامهما ، وأما كون وجوههما إلى السموات وأقفيتهما إلى الأرض فموضع نظر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك .

وأما قول من قال من أهل التفسير أن ذلك من باب إطلاق الكل على البعض لأن القمر في السماء الدنيا ، والشمس في الرابعة كما يقال رأيت بني تميم وإنما رأيت بعضهم فليس بجيد ، ولا دليل عليه وليس هناك حجة يعتمد عليها فيما نعلم تدلّ على أن القمر في السماء الدنيا والشمس في الرابعة ، وأما قول من قال ذلك من علماء الفلك فليس بحجة يعتمد عليها لأن أقوالهم

غالباً مبنية على التخمين ، والظن لا على قواعد شرعية وأسس قطعية فيجب التنبه لذلك ، ويدل على هذا المعنى ما قاله الحافظ بن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله سبحانه : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) الآية .. حيث قال ما نصه : قولـــه تعالى : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة ، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه (فلك الثوابت) والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي ، والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق ، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إلى المشرق وكـل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة ، والشمس في كل سنة مرة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب إتّساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها . انتهى .

فقول الحافظ رحمه الله هنا عــلى اختلاف بينهم .. الخ ، يدل على أن علماء الفلك غير متفقين على ما نقله عنهم آنفاً من كون القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة .. الخ . وغير ذلك مما نقله عنهم ، ولو كانت لديهم أدلة قطعية على ما ذكروا لـم يختلفوا ، ولو فرضنا أنهم اتفقوا على ما ذكر فاتفاقهم ليس بحجة لأنه غير معصوم ، وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام الذين توفرت فيهم شروط الإجتهاد ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة) الحديث . فإذا اجتمع علماء الإسلام على حكم اجتماعاً قطعياً لا سكوتياً فإنهم بلا شك على حق لأن الطائفة المنصورة منهم ، وقد أخبر النبي صلى الله عيله وسلم أنها لا تزال على الحق حتى يأتي أمر الله ، وظاهر الأدلة السابقة ،

وكلام الكثير من أهل العلم أو الأكثر كما حكاه النسفي ، والألوسي أن جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر تحت السموات ، وليست في داخل شيء منها ، وبذلك يعلم أنه لا مانع من أن يكون هناك فضاء بين الكواكب والسماء الدنيا يمكن أن تسير فيه المركبات الفضائية ، ويمكن أن تنزل على سطح القمر أو غيره من الكواكب ، ولا يجوز أن يقال بامتناع ذلك إلاّ بدليل شرعي صريح يجب المصير إليه ، كما أنه لا يجوز أن يصدّق من قال أنه وصل إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب إلاّ بأدلة علمية تدل على صدقه ، ولا شك أن الناس بالنسبة إلى معلوماتهم عن الفضاء ، ورواد الفضاء يتفاوتون ، فمن كان لديه معلومات قد اقتنع بها بواسطة المراصد أو غيرها دلته على صحة ما ادعاه رواد الفضاء الأمريكيون من وصولهم إلى سطح القمر فهو معذور في تصديقه ، ومن لم تتوفر لديه المعلومات الدالة على ذلك فالواجب عليه التوقف ، والتثبت حتى يثبت لديه ما يقضي التصديق أو التكذيب عملاً بالأدلة السالف ذكرها ، ومما يدل على إمكان الصعود إلى الكواكب قول الله سبحانه في سورة الجن فيما حكاه عنهم : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً) فإذا كان الجن قد أمكنهم الصعود إلى السماء حتى لمسوها ، وقعدوا منها مقاعد فكيف يستحيل ذلك على الإنس في هذا العصر الذي تطور فيه العلم ، والإختراع حتى وصل إلى حد لا يخطر ببال أحد من الناس حتى مخترعيه قبل أن يخترعوه أما السموات المبنية فهي محفوظة بأبوابها وحرسها فلن يدخلها شياطين الإنس والجن كما قال الله تعالى : (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وقال تعالى : (وحفظناها من كل شيطان رجيم) وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج به إلى السماء مع جبريل لم يدخل السماء الدنيا وما بعدها إلاّ بإذن ، فغيره من الخلق من باب أولى وأما قوله سبحانه في سورة الرحمن : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان) فليست واضحة الدلالة على إمكان الصعود إلى الكواكب لأن ظاهرها وما قبلها وما بعدها يدلّ على أن الله سبحانه أراد بذلك بيان عجز الثقلين عن النفوذ من أقطار السموات والأرض وقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في

تفسير هذه الآية الكريمة أقوالاً أحسنها قولان . أحدهما : أن المراد بذلك يوم القيامة وأن الله سبحانه أخبر فيها عن عجز الثقلين يوم القيامة عن الفرار من أهوالها وقد قدّم ابن جرير هـذا القول وذكر في الآية التي بعدها ما يدل على اختياره له ، والقول الثاني أن المراد بذلك بيان عجز الثقلين عـن الهروب من الموت لأنه لا سلطان لهم يمكنهم من الهروب من الموت كما أنه لا سلطان لهم على الهروب من أهوال يوم القيامة ، وعلى هذين القولين يكون المراد بالسلطان القوة ، **ومما ذكرناه يتضح أنه لا حجة في الآية لمن قال إنها تدل على إمكان الصعـود إلى الكواكب ، وأن المراد بالسلطان العلم ، ويتضح أيضاً أن أقرب الأقوال فيها قول من قال أن المراد بذلك يوم القيامة، أخبر الله سبحانه فيها أنه يقول ذلك للجن والإنس في ذلك اليوم تعجيزاً لهم وأخباراً أنهم في قبضة الله سبحانه ، وليس لهم مفرّ مما أراد بهم ، ولهذا قال بعدها : (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) فالمعنى ـ والله أعلم ـ أنكما لو حاولتما الفرار في ذلك اليوم لأرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران منهما ، أما في الدنيا فلا يمكن أحداً النفوذ من أقطار السموات المبنية لأنها محفوظة بحرسها ، وأبوابها كما تقدم ذكر ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .**

يا أيها الناس أذكروا نعمة الله عليكـم
هل من خالق غير الله . . يرزقكم من السماء والأرض
لا إلـه إلاّ هو . . فأنى تؤفكون .

فاطر ـ ٣٥

دراسات أدبية

ابو العتاهيه

بقلم الشيخ محمد شريف الزيبق
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، أبو اسحق ، من الموالى وولاؤه فى قبيلة عنزة ، فهـو عنزى بالولاء ، وكان جده كيسان من سبى عين التمر ، وهو أول سبى دخـل المدينة ، سباهم خالد بن الوليد وقدم بهم على أبى بكر رضى الله عنه ، وأم أبى العتاهية ـ وتكنى أم زيد ـ كانت أيضا مولاة لبنى زهرة ٠

وقد اشتهر بلقب أبى العتاهيـة ـ وليس هذا كنية فكنيته أبـو اسحق كما سبق ـ وعتاهية كلمة تدل عـلى معان كثيرة ، يقول ابن منظور فى لسان العرب : عته فى العلم : أولع به وحرص عليه والعتاهة ٠ والعتاهية مصدر عته مثل الرفاهة والرفاهية ، والعتاهية ضلال الناس من التجنن والدهش ، والتعته المبالغة فى الملبس والمأكل ، ورجل عتاهية أحمق ، وتعته : تنظف ، وأبو العتـاهية الشـاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية ، وقيل : لو كان الامر كذلك لقيل أبو عتاهية بغير تعريف ٠

والسبب فى تلقيبه به أن الخليفة المهدى قال له يوما أنت انسـان

متحذلق – أى متظرف – متعته ، فاستوى له من ذلك لقب غلب عليه دون اسمه وكنيته (١) ٠

ويقول ابن منظور : لقب بذلك لان المهدى قال له : أراك متخلطا متعتها ، وكان قد نعته بجارية للمهدى واعتقل بسببها ، وعرض عليها المهدى أن يزوجها له فأبت ، واسم الجارية عتبة وقيل : لقب بذلك لانه كان طويلا مضطربا ، وقيل : لانه يرمى بالزندقة ولانه كان يحب المجون والتعته ٠

وقد أصاب المهدى فى اطلاق هذا اللقب أبى العتاهية على الشاعر لدلالته أبلغ دلالة على صفاته الجسمية والخلقية فدل على اضطرابه وتخلطه ومجونه وطوله وتعتهه بحب عتبة ٠

وكانت ولادة الشاعر فى (عين التمر) وهى قرية قرب (الانبار) غربى الكوفة سنة ١٣٠ وانتقل مع أبيه صغيرا الى (الكوفة) ، وكانت الكوفة مدينة العلماء والمحدثين والعباد والزهاد ، وقد عاصر فيها الشاعر أمثال علقمة بن قيس ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، والربيع بن خيثم ، وأويس القرنى ، والنخعى ، والشعبى وسفيان الثورى ، وشريك القاضى وابن أبى ليلى ، وأبى حنيفة ، والكسائى ، والفراء ٠

ومع اتساع الكوفة وانتشار الرخاء نشأت فيها طوائف من المجان يقولون الشعر ، متنقلين على معاهد اللهو ، وموغلين فى حمأة المفاسد ، يفسقون ويتهتكون ويتزندقون وينعتون أنفسهم بالظرف ، وأنهم حلية الارض ونقش الزمان ٠٠ أمثال حماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد ، وشراعة بن الزندبود (١) ٠

فيحى بن زياد مثلا كان زنديقا وكان يتصنع الظرف وحسن المظهر ، يقول فيه الخطيب البغدادى : كان شاعرا آديبا ماجنا نسب الى الزندقة وكان صديقا لمطيع ، وحماد ، ووالبة وغيرهم من ظرفاء الكوفيين (٢) ٠

فى هذه البيئة نشأ أبو العتاهية ، وكان يخالط هؤلاء الشعراء المجان ، ويختلف الى حلقات العلماء ومجالس العباد ، وقد كان فقيرا فكان يعمل

---

(١) الاغانى ٤/٤ ٠

(١) ثمار القلوب للثعالبى ٤٠٧

(٢) تاريخ بغداد ١٠٤/١٤

مع أبيه فى بيع الفخار بالكوفة ،وقال الشعر وبرع فيه وهو حدث ، وظهر نبوغه فى وقت مبكر ٠

روى أنه اجتاز بفتيان جلوس يتناشدون الشعر ، وكان يحمل قفص فخار يدور به ويبيع منه ،فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال للفتيان : أراكم تتذاكرون الشعر وتقولونه ، أفأقول شيئا منه وتجيزونه ؟ فان فعلتم فلكم على عشرة دراهم ، وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؟ فهزئوا منه وسخروا وقالوا: نعم ، لا بد أن نشترى بأحد القمرين رطبا يؤكل ، فانه قمر حاصل ، وجعل رهنه على يد أحدهم ، ففعلوا فقال ، أجيزوا :

ساكنى الاجداث أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتا وعلامة فى ذلك الموضع اذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت وجب القمر عليهم ،فلم يأتوا بشىء ، فأخذ الدراهم وجعل يهزأ منهم وتمم الشعر :

مثلنا بالامس كنتم

ليت شعرى ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

ومع أن أبا العتاهية بدأ حياته مع المجان والمتخنثين وفساق الشعراء ، وكان فى أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ، فان بواكير شعره كانت فى الزهد ووصف الموت وأحواله ونزل (الحيرة) وهى قريبة من الكوفة فهوى امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال ، وتدعى سعدى وكان ينظم لها الشعر الذى تنوح به على الموتى ، وكانت سعدى مولاة لبنى معين ابن زائدة وقد أدت صلته بها الى خلاف ومهاجاة بينه وبين عبد الله بن معن بن زائدة (٣) ٠

انتقاله الى بغداد :

وفد أبو العتاهية الى بغداد فى خلافة المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩) فى نحو الثلاثين من عمره وكانت بغداد (التى انشأها ابو جعفر المنصور سنة ١٤٩ هـ) قد أخذت فى الازدهار فانتقل النشاط العلمى من الكوفة والبصرة اليها بعد أن أصبحت دار الخلافة وحاضرة الاسلام ٠ وكان أبو

---

(٣) الاغانى ١٤/٥٣ ٠

العتاهية حين قدم بغداد يجتهد في الوصول الى قصر الخلافة ، فأقبل يمدح المهدى ، ويفكر في الوسائل التى تدنيه منه ، يقول ابنه محمد : (فلما تطاولت أيامه أحب أن يشهر نفسه بأمر يصل به اليه ، فلما بصر بعتبة راكبة في جمع من الخدم تتصرف في حوائج الخلافة ، تعرض لها ، وأمل أن يكون تولعه بها هو السبب الموصل الى حاجته ، وانهمك في التشبيب والتعرض في كل مكان لها ، والتغرد بذكرها ، واظهار شدة عشقها) (١) .

وله مع عتبة حوادث عديدة ، منها ما رواه المبرد : أن أبا العتاهية أهدى الى المهدى برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبا عليه بالغالية :

نفسى بشىء من الدنيا معلقة	**الله والقائم المهدى يكفيها**
انى لأيأس منها ثم يطمعنى	**فيها احتقارك للدنيا وما فيها**

قال : فهم أن يدفع اليه عتبة ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، مع حرمتى وخدمتى تدفعنى الى بائع جرار متكسب بالشعر ؟ فبعث اليه : أما عتبة فلا سبيل لك اليها ، وقد أمرنا لك بملء برنية مالا (٢) .

وكان يتجاسر على التشبيب بها في مقدمة مدائحه للمهدى ، فقد روى الحافظ ابن عبدالبر في مقدمته لديوان شعر أبى العتاهية أن الشعراء حضروا يوما عند المهدى فقدم أبا العتاهية في الانشاد ، فقال بشار بن برد لأشجع السلمى : يا أخا سليم ، من هذا الذى قدم للانشاد علينا ؟ أهو ذلك الكوفى الملقب ؟ قال : نعم . فقال بشار : لا جزى الله خيرا من جمعنا به ، أيستنشد قبلنا ؟ فقال له أشجع : هو ما ترى .. فأنشد أبو العتاهية :

ألا ما لسيدتى ما لها	**تدل فأحمل ادلالها**
والا ففيم تجنت وما	**جنيت سقى الله أطلالها**
ألا ان جارية للاما	**م قد أسكن الحب سربالها**
مشت بين حور قصار الخطا	**تجاذب في المشى أكفالها**
وقد أتعب الله نفسى بها	**وأتعب باللوم عذالها**

---

(١) تاريخ بغداد ٢٥٦/٦

(٢) مروج الذهب ٢٤٠/٣

فقال بشار : أبهذا الشعر يقدم علينا ؟ فلما أتى على قوله :

أتته الخلافة منقادة	اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له	ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه نيات القلوب	لما قبل الله أعمالها
وان الخليفة من قول لا	اليه ليبغض من قالها

فاهتز بشار طربا ، وقال : ياأخا سليم أترى الخليفة لم يطر طربا عن فراشه لما يأتى به هذا الكوفى ؟

وقضى أبو العتاهية مدة طويلة يتغزل بعتبة حتى شاع فيها شعره ، فأمر المهدى بجلده وادخاله السجن ،ولم يعف عنه الا بشفاعة خاله يزيد بن منصور الحميرى (١) .

وفى أيام الرشيد عاد الشاعر الى التغزل بعتبة والسعى للزواج منها . حدث أبو العباس يحيى بن ثعلب قال : كان أبو العتاهية قد أكثر فى مسألة الرشيد فى عتبة ، فوعده بتزويجها ، وأنه يسألها فى ذلك . ثم دعا به ، وقال : ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفى غد تقضى حاجتك ان شاء الله ، وبعث الى عتبة : ان لى اليك حاجة ، فانتظرينى الليلة فى منزلك ، فأكبرت ذلك وأعظمته ،وصارت اليه تستعفيه ، فحلف أن لا يذكر لها حاجته الا فى منزلها ، فلما كان الليل سار اليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتى أو تضمنين قضاءها . قالت : أنا أمتك وأمرك نافذ فيما خلا أمر أبى العتاهية ، فانى حلفت لأبيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر و فاجر ، وبالمشى الى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا أقتصر على الكفارة وكلما أفدت شيئا تصدقت به الا ما أصلى فيه ، وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها . وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت فى أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك ، وشرح له الخبر قال أبو العتاهية : فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا أدرى أين أنا ، قائم أو قاعد ، وقلت : الان يئست منها اذ ردتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك ، فلبس أبو العتاهية الصوف وقال فى ذلك من أبيات (٢) :

---

(١) الاغانى ٤/٤٢ (٢) مروج الذهب ٣/٢٧٤

قطعت منك حبائل الآمــــال وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد اليأس بين جوانحي وأرحت من حلى ومن ترحـالى

وهى قصيدة طويلة تعتبر من أروع قصائده ، ومنها :

الان يا دنيا عرفتك فاذهبى يا دار كـــل تشتت وزوال
والان صار لى الزمان مؤدبــا فغدا على وراح بالامثـــال
والان أبصرت السبيل الى الهدى وتفرغت هممى عن الاشـغال
ولقد أقــام لى المشيب نعاته يفضى الى بمفـــرق وقذال

ومنها :

واذا تناسبت الرجال فما أرى نسبا يقاس بصالح الاعمـــال
واذا بحثت عن التقى وجدته رجلا يصـــدق قوله بفعال
واذا اتقى الله امرؤ وأطـــاعه فتراه بين مكارم ومعـــال
وعلى التقى اذا ترسخ فى التقى تاجان تاج سكينة وجـــلال

ومنها :

يا أيها البطر الذى هـــو فى غد فى قبـــره متفرق الاوصـــال
حذف المنى عنه المشمر فى الهدى وأرى مناك طـويلة الاذيـــال
ولقلما تلقى أغـــر بنفســـه من لاعب فرح بها مختـــال
يا تاجر الغى المضر بنفســـه حتى متى بالغى أنت تغـــالى
الحمد لله الحميـــد بمنـه خسرت ولم تربح يـــد البطـال
لله يوم تقشعر جلودهـــم وتشيب منه ذوائب الاطفـــال
يوم النوازل والزلازل والحـــوا مل فيه اذ يقذفن بالاحمـــال
يوم التغابن والتباين والتـــوا زن والامـور عظيمة الاهـــوال
يوم ينادى فيـه كـــل مضلل بمقطعات النار والاغـــلال
للمتقين هنـــاك نزل كرامة علت الوجـــوه بنضرة وجمـال
زمر أضاءت للحساب وجوههـــا فلها بريق عنـــده وتـــلالى
وســوابق عز محجلة جـــرت خمص البطون خفيفة الاثقال
من كل أشعث كان أغبرنا حلا خلق الرداء مرقع السربـــال
نزلوا بأكرم ســـيد فأظلهم فى دار ملك جـلالة وظـــلال

ومنها :

حيل ابن آدم فى الامور كثيرة	**والموت يقطع حيلة المحتـــال**
ومن النعاة الى ابن آدم نفســـه	**حرك الخطى وطلوع كل هلال**
مالى أراك لحر وجهك مخلقـــا	**اخلقت يا دنيا وجـوه رجـال**
قست السؤال فكان أعظم قيمة	**من كل عارفة أتت بســـؤال**
كن بالسؤال أشد عقد ضنانة	**ممن يضن عليك بالامـــوال**
وصن المحامد ما استطعت فانها	**فى الوزن ترجح بذل كل نوال**
ولقد عجبت من المثمر ما لــه	**نسى المثمر زينة الاقـــلال**
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا	**فابذله للمتـــكرم المفضال**
واذا خشيت تعـــذرا فى بلدة	**فاشدد يديك بعاجل الترحال**
واصبر على غير الزمان فانمـــا	**فرج الشدائد مثل حل عقال**

وهكذا نجد فى هـــذه القصيدة ملامح فن أبى العتاهية فى الزهـد المزوج بالحكمة والمرصع بالاقتباسات البديعة من كتاب الله عز وجل وكلام السلف الصالح ، وقد ابدى ابن الاعرابى اعجابه البالغ بهذه القصيدة وقال : ما رأيت قط شاعرا أطبع ولا أقدر على بيت من أبى العتاهية ، وما أحسب مذهبه الا ضربا من السحر ، وثار برجل كان فى مجلسه لانه قال ان أبا العتاهية ضعيف الشعر ، فقال لــه : الضعيف والله عقلك ، لأبى العتاهية تقول : ضعيف الشعر ؟! (١)

ونذكر أخيرا فى سبب توبة أبى العتاهية من مصاحبة المجان وقرض الشعر فى الغزل والهجاء والمديح ، وقصر شعره على الزهد والحكمة ـ ما روى عن أبى سلمة الغنوى أنه سأل أبا العتاهية : ما الذى صرفك عن قول الغزل الى قول الزهد ؟ فأجابه: اذن والله أخبرك ، انى لما قلت :

الله بينى وبين مـــولاتى	**أهدت لى الصـــد والملالات**
منحتهـــا مهجتى وخالصتى	**فكان هجرانهـــا مكافاتى**
هيمنى حبهـــا وصيرنى	**أحدوثة فى جميع جاراتى**

رأيت فى المنام فى تلك الليلة كأن آتيا أتانى فقال : ما أصبت أحـــدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لــك عليها بالمعصية الا الله تعـــالى ؟ فانتبهت مذعورا ، وتبت الى الله تعالى من ساعتى من قول الغزل (٢) .

---

(١) ابن عبد البر فى مقدمته .

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢٥٨

قصـــة

في الاتجاه الآخر

بقلم أبي صفوان

كان (ابو جميل) في الخامسة والستين يوم صدر قرار احالته على التقاعد ٠ وهي السن الـــتي طالما حجبها عن النـــاس ، وعن رؤسائه بوجه خاص ، خشية استعجال هذه النتيجة ، التي ظـــل خمس سنوات يدافعها بكل ما أوتي من حيلة وما بذل من رجاء ٠٠ ولكن لكل شيء نهايته، ولم يكن بد لمثله من ان يصير الى هذه النهاية يوما ما شاء او ابى ٠ لذلك كان عليـــه ان يوطن نفسه لاحتمال هذه الحياة الجديدة ، حياة مابعد الوظيفة ، بكل مافيها من فراغ ووحدة٠ ولشد مافكر في ايامه القابلة هذه حين يجد نفسه خارج العمل، فلا يدري كيف يزجي اعباءها ، ولا كيف يملأ فراغها ! ٠٠

ولاغرابة في ذلك فان امرأ كأبي جميل بسيط طيب القلب ، لاحظ له من خبرة الحياة خارج نطاق عمله النمطي في ديوان المالية ، يتعذر عليه ان يغير بسهولة طريقة حياته ،التي جثم في قالبها قرابة نصف قرن ، حتى أصبح كالمنفي عن دنيا الناس، لايكاد يفهم مايشغلهم من شئونها ٠ وكان بادي الرأي شديد التعويل على دنانيره المئتين ، التي استطاع ان يحتفظ بها من بقايا مرتباته خلال هذا الزمن ، عملا بالمثل الذي يقول: «قرشك الابيض ليومك الاسود» وقد جاء اليوم الاسود بهذه البطالة التي ترهقه ، فجدير به ان يفيد منهـــا باتخاذ عمل يشغل به فراغه ٠٠ على

ان (حســــاب القرايا لاينطبق على حساب السرايا) فما ان غادر قيود الوظيفة حتى الفى نفسه عاجزا عن أى تفكير فى الموضوع، اشبه بمملوك قضى ايام نشاطه فى اغلال الرق، ثم فوجىء باطلاق حريته على غير اعداد سابق ، فكانت حريته نفسها اشد الاعباء عليه ..

ولقد يظن بعض الذين يعرفون الرجل ان له ولدا باسم (جميل) . والحق انه لم يلد قط ، ولم يفكر ان يعرف ماذا كان السبب فى هـــذا العقم هو أو زوجته ، وانما هو اسم ابيه كنى به منذ الطفولة ، على عادة بلده ، تيمنا بان يكون له فى قابل الايام ولد يحيى به اسم ذلك الوالد. وقد مر به زمن جاش به شوقه الى الولد ، فراح يطوف بزوجته مقابر الاولياء ، ومقامات الصالحين ، حاملا اليها النـــذور النفيسة ، رجاء ان تعطف عليه فتتوسط بحاجته لدى الله !.. ولكن هؤلاء صموا عنه فلم تجده نذوره .. ثم مالبثت الايام ان عملت عملها فى اطفاء ذلك الشوق، حتى ألف وزوجته وضعهما ، ورضيا بنصيبيهما من قدر الله .. وبـــات عليهما ان يوجها كل همهما الى العبادة التى لاعزاء مثلها فى مثل وحشتهما تلك ..

ولم تكن العبادة شيئا طارئا على ابى جميل ، كشأن الكثيرين من الناس ، وبخاصة فى اوساط اولئك الموظفين الذين تشغلهم دنياهم عن ربهم ، فلا يذكرونه الا بعد التقاعد. وعندئذ يهبون للمساجد بقية عمرهم .. كلا فقد كان صاحبنا قديـــم الاتصال بالصلاة ، غير قليل التردد على بيوت العبادة .. بل كان من ابناء (الطريقة) الـــذين لايكتفون بالعبادة المكتوبة ، حتى يضيفوا اليها الاذكار التى يكلفهم بها المشايخ وقد بلغ من ورعه انه لايفـــارق (دلائل الخيرات) ، وورد (ابن سلطان) فهما رفيقاه اينما حل .. يراجع تلاوتهم كلما وجد الى ذلك سبيلا ! .. وقد أعطى القرآن من نفسه حظا اسبوعيا يعاوده صباح كل جمعة ، حيث يتلو سورة الكهف عدة مرات ..

وهو انما انخـــرط فى سلك الطريقة عملا باشارة المرحوم والده، الذى علمه منذ الطفولة الا بد للانسان من الشيخ ، فمن لاشيخ له فشيخه الشيطان !..

وطبيعى ان يفر من الشيطان ماوسعه الجهد .. ولم يكن فى حاجة الى طويل تردد فى اختيار شيخه.. انه ليس خيرا من جاره ابى سعيد،

وخاله ابى فتوح .. اللذين اتخذامن الشيخ (فويضل) اماما وقدوة.. فليسلك طريقهما هـو وزوجتـه وشقيقته .. وهم مجموع الاسرة .. ومنذ ذلك اليوم بدأ تعلقه بالشيخ، واخذ نفسه بالتردد على دروسه ، وحضور حلقاته ، مساء كل اثنين وجمعة ..

ومن قبل طالما سمع أخبار الشيخ (فويضل) على ألسنة دعاته ، يعرضون على النـاس كمالاتـه ، ويقصون كراماته .. ولم يكن من أهل الشكوك والحمد لله ، فلم يجـد مانعا من تصديقهما ؟ والتطوع بنقلها الى من لم تبلغه . ولما باشـر الاتصال بالشيخ كـان على اتم الاستعداد للاندماج فى جوه .. وهاهو ذااليوم قد قطع شوطا بعيـدا فى تقاليد الطريق ، التى تفرض على المريد ان يكون اطوع للشيخ من بنانه ، واشد احتراما له من ابيه وامه .. فهو اذا دخل عليه مجلسا دب على قوائمه حتى ينتهى اليه ، فيقبل يديه وركبتيه، ثم يتراجع الى الخـلف حتى يأخذ مكانه فى الحلقة . واذا دخل الشيخ الجامع نهض له مع الجميـع ، ثم لايقعد حتى يستقر فى موضعه ، الذى يجب أن يظل محجوزا له الى أن يحتله !!. واذا جلس الشيخ للوعظ أطرق الى الارض فى خشوع عميق، مجاهدا نفسه ، لكى يجعل قلبه هو الذى يتلقى النفحات ..

وكان ذوبانه السريع فى هذا الجو جد طبيعى ، اذ وجد فيه متعة سرعان ماعوضته عن مشاغل العمل الذى فقده ، وردت اليه ماحرمه من الانس الذى كان ينعم به فى ظل رؤسائه وزملائه اثناء عمله الماضى ..

لقد قضى سنى الوظيفة كلها كاتبا صغيـرا ، يتلقى تعليمات رؤسائه فى تنظيم الجـداول ، او نسخ القوائم بدقـة ، كأنه الالة الحاسبة ، لايعتريه الخطأ الا بمقدار ماتخطىء يد العـامل فى تحريك ارقامها . فطبيعى اذن أن يجد ، فى مجتمع الطريقة ، وفى ظل الشيخ ذاته ، ماينقذه من الخلل ، الذى كاد يستولى على وجوده عقيب انتزاعه من عمله المألوف .. ومن هنا جعل أنسه يزداد اطرادا بنسبة اندماجه فى ذلك الجو ، وباتت ثقته بكرامات الشيخ تتضاعف على اساس تصاعـدى من النسبة نفسها ..

وكان فى مبدأ الامر يحاول ان يثبت نظره فى وجه الشيـخ طلبا للثواب ، الذى تقـرره الحكمة المتداولة بين المريدين : (النظر الى

وجه الشيخ عبادة) ·· فيجد في ذلك غبطة سعيدة لايعرف لها مثيلا في غير هذا الموقف ·· ولكن هيبة الشيخ صارت به اخيرا الى الاغضاء، فيكتفي باحضار الشيخ في قلبه ،وهو يردد ورده من الـــذكر ، أو يستمع الى مواعظه الشافية ! · وهو مع ذلك ينفذ بهذا تعاليم الشيخ، الذي كثيرا ماسمعه يقول لمريديه : (من أول واجبات المريد أن يتصور شيخه في فؤاده ، كلما خلا الى اوراده ،وأصغى الى ارشاده ··) وقد مرن على ذلك حتى اصبح له عادة ثابتة·· يجلس بين الشيخ كاسر البصر ، ويكلمه ، اذا كلمه، في هدوء وخفوت بالغين ، وهو كاسر البصر ايضا·· حتى انه ليحاول تفسير ذلك لنفسه، فلا يجد الا هذه العبارة التي اصبحت من كلماته المألوفة: ان عيني لتعجزان عن مواجهة نور الشيخ! والحق ان في وجه الشيخ (فويضل) لســـراغريبا ·· فهو منسجم التقاطيع الى حد يمكن وصفه بالجمـــال ، وفي بشرته بياض نقي يأتلف مع تلك اللحية السوداء الانيقة ، التي توحي للناظر بانه في اواسط العقد الرابع قمة الشباب · ولاشك ان لشكل عمته ، الملتفة في انحناء لولبي ،حول تلك القلنسوة البيضاء ، الذاهبة الى الاعلى على شكل صنوبري ، اثرا مافي ذلك الايحاء الغامض الذي يستشعره الناظر اليه· بيد أن اكبـــر اسرار شخصيته كامن في عينيه ·· ان لعينيه هاتين لشكلا خاصا ذا تأثير عميق ·· فهما متوسطتا الفتحتين، وبياضهما تمازجه حمرة من نوع يكاد يكون خاصا ، وفي سواد انسانيهما تحدث دقيق ، يبعث الى عين الرائي باشعاع حاد اشبه بمحـــرق شديد التركيز ·· واذا نظرت الى الشيخ كله وهو منتصب في جبته القصيرة، خيل اليك انك تنظر الى ممثل غير ناجح ، يعرض دور شيخ على المسرح!

ومهما يكن فقد وجد أبو جميل في الشيخ فويضل ضالته التي لم يحلم بأسعد منها ، وهـــو في ظله مطمئن الضمير ، يملؤه اليقين انه قد استقر على الطريق الموصل الى الله· ولم يكن هذا شعوره وحده فقط ، بل انه كذا! شعور زوجته وشقيقته اللتين سبقتاه مراحل في التسامي الروحي ، فلم يشغلهما شاغل عن دروس الشيخ ، ولايصرفهما شيء عن حلقات الذكر التي يخصصها عادة للنساء ··

ومن اجل هذا كان سرور الاسرة بالغا، عندما جاء الشيخ يطلب يد فاطمة شقيقة ابي جميل لاخيه ·· فقد اعتبر هذا الطلب منه لفتة كريمة

·· ولم يكتم ابو جميل تقديره لهذه النعمة الالهية ، فراح يؤكد لزوجته وشقيقته ·· انها لفرصة ليس أسعد منها لزيادة القرب من سيدنا الشيخ!

·· وكان ابو جميل يعالج فى نفسه فكرة · لم يستقر منها على وجه منذ عشاء أمس ·· وذلك حين سمع الشيخ يحض على الانفاق فى سبيل الله ·· ويذكر الناس ان احب الصدقة عند الله مايقدم عن طريق الشيخ ·· وان عليه تبعات كثيرة لاسبيل الى النهوض بها الا بمعونة المريدين ·· ولقد رأى الكثيرين يستجيبون لهذه الدعوة فيقدمون تبرعاتهم السخية لامين الشيخ ،الاهو فقد اخر تبرعه ريثما يقطع بالمبلغ الذى يجب ان يدفعه · اما الان فقد اهتدى الى افضل الوجوه· أليست دنانيره المئتان ذخرا ليوم الحاجة !! واى مكان اصلح للادخار من سبيل الله ··

فليدفع بدنانيره جميعا الى يد الشيخ ، الذى لاعمل له الا القيام بحقوق الله ·· وحسبه وزوجته مايجرى عليه من مرتبه التقاعدى الذى يربو على مئتى ليرة سورية ·· وهو مبلغ يكفيهما ويزيد ·· مادامت فاطمة ستكون زوجة لشقيق الشيخ، تعيش فى بحبوحة من البركة التى لاخير يضاهيها ··

وماهو آلا ان احرز موافقة زوجته وشقيقته على الامر ، حتى عمد الى تنفيذه ، عملا بالحكمة المأثورة :(خير البر عاجله ··)

وهكذا ، وفى اليوم نفسه حقق ابو جميل رغبته الخيرة ، فقدم الى الشيخ مئتى ذهب ، ليضعها حيث يشاء من وجوه الخير ، وابلغه موافقة شقيقته على ان تكون زوجة لاخيه ·· بل خادما فى المطبخ ··

- ٢ -

كانت مباركة حقا تلك الصلة التى ربطت بين اسرتى الشيخ وابى جميل عن طريق المصاهرة، اذ اتاحت للفريقين فرصا للتزاور لم تكن من قبل ·· وقد تلطف الشيخ فأعطى فاطمة من قربه فوق المنتظر ، فهو قلما ينقطع يوما واحدا عن زيارتها فى بيت أخيه ، الذى قليلا ما يأوى اليه ، فى اوقات متباعدة ، بسبب غيابه اكثر الايام خارج المدينة ·· وهذه دون ريب نعمة كبيرة من حق فاطمة ان يحسدها عليها الكثيرات

من مريدات الشيخ ٠٠ وليس حظ ابى جميل وزوجته منها دون ذلك، اذ اصبح يعيرهمـــا من الاهتمام أضعاف ماألفياه قبـــلا ٠٠ وقد خصص لزيارتهما حصة من يوم الجمعة الذى وقف زياراته على اولى الارحام ٠٠ فهو بذلك يعتبرهما منهم ،وهذا ضرب من التكريم اكبر مما يستحقان

على ان ثمة ظاهرة جعلت تقلق خاطر أبى جميل وزوجته ، وقد بدأت بعد اسابيع قليلة من زواج فاطمة ٠٠ هذه التى نشأت فى حجرهما ومنحاها كل مافى قلبيهما من حنان الابوة ٠٠

انهما ليألمـــان أشد الالم، اذ يريانها فريسة لهزال شديد يكـاد يذهب بكل نضارتها المعهودة ! لقد نزلت دار الحاج سليم شقيق الشيخ وهى كالزهرة فى ذروة التفتح ،فما تلمحها عين امرأة الا ضربت انفها اعجابا بجمالها ، وراحت تعيذها من السوء بألف الصلاة على النبى ٠٠ اما الان فقد اعترى الزهرة ذبول مفاجىء ، اوشك ان يطفىء وهـج الصبا فى ذلك الجسد ، الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة الا اياما قليلة!

ولم يكن يسيرا معرفة السبب فى هذا التغيير السريع ٠٠ ذلك ان فاطمة تجاهلت مايقولونه فى هذا الصدد ، وحاولت التأكيد انها على غاية مايرام فى عشها الجديد !٠٠

وكان على ام جميل ان تخلو به تستكشف امرها ، لعل ثمة سببا نسويا تستطيـــع ان تعالجه ، او ترشدها الى علاجه ٠٠ ولكن عبثا ، فلم تزد فاطمة على جوابها الاول شيئا!

واخيرا كان التفسير الوحيد الذى استقرت عليه خـــواطر ابى جميل وزوجته فى شأن فاطمه ، هو انها تسرف على نفسهـــا فى التهجد وقيام الليل وفى الصوم ٠٠ وكل هذا من شأنه ان يصير بصاحبه الى مثل هذا الشحـــوب ٠٠ لذلك جعلا يذكرانها بما يجب على المرأة فى حق زوجها ، من حيث العمل بمرضاته، فلا تأتى من نوافـل العبـادات الا مايوافق عليه ٠ ولاشك ان المجاهدة الى هذا الحد ضارة بجسدها الذى لايجوز لها ان تفرط به ، الا فى الحدود التى لاتزعج نظر الزوج ٠٠

وكانا يحسبـــان ان الامـر سينتهى بمجرد هذا التذكير ٠٠ ولذلك تضاعف قلقهما اذ استمرت صحة فاطمة بالتدهور ، وبدا عليها بعد ايام وجوم صـــرفها الى صمت طويل ، لاتكاد تخـــرج عنه الا لضرورة قصوى !٠٠

وكان هذا كافيا لحمل اخيها وزوجته على الالحاح فى استكشاف امرها ،الحاحا لم تستطع مقاومته، فاذا هى تنفجر بالبكاء ، ثم تقول فى صوت مرتجف : اننى سأموت قريبا اذا ظللت فى هذا البيت !» على ان هذه الكلمة لم تزد الامر الا تعمية ٠٠ فزادها استيضاحا ، واستمرا فى الحاحهما ، فلم تتمالك ان تقول فى شبه ذهول : انه الشيخ ٠٠ يراودنى عن نفسى ٠٠ !»

وفرك ابو جميل عينيه ومسح جبهته ، بينما كانت امرأته تضرب فخذيها بقوة ، وخرج صوتهـما معا يرددان : الشيخ !! الشيخ ٠٠

وأتم ابو جميل عبارته : هذا مستحيل ٠٠ مستحيل يافاطمة ٠٠

واستأنفت زوجته تقول :لابد انك رأيت هذا فى حلم !٠٠

ولكن فاطمه لم تعد تطيق هذا التردد فأجابت فى اصرار ، وهى تشد على كل حرف : بل يقظة ٠٠لقد بدأ يعبث بصدرى يزعم رقيتى ٠٠ فتمالكت واحسنت به الظن ٠٠حتى راح يسمعنى من الكلام مايزلزل الارض٠٠ ولايزال حتى اليوم يواصل محاولاته القذرة !٠٠

وصمتت قليلا تسترد انفاسها٠٠ ثم رفعت عينيهـــا الى السماء ضارعة : ياالهى ! ٠٠ لااحد يصدقنى فأنقذنى ٠٠ أنقذنى أنت !٠٠

ـ ٣ ـ

لم يغمض لابى جميل جفن طوال ليلته ٠ وقد اختلط عليه الامر بادى الرأى ، فما يدرى أفى يقظة هو أم فى حلم متصل ٠٠

لقد شلت الخواطر القلقة قواه الواعية ، فشغلته حتى عن أوراده المنظمة ، وهاهى مسبحته ذات ألف الحبة مكومة لم تمسها يد ، وهى المرة الاولى التى يهجرها منذ عدة اشهر !٠

انه ليطلق العنان لتصوراته ،فيستعيد ماسمعه من فاطمه ، ثم يحاول ان يحاكمه او يناقشه ، فلاينتهى الى قرار ٠٠ وكيف يستطيع القطع بصحة ماسمع ، وفى ذلك مافيه من القضاء على أعز امانيه ، وأحب ملذاته الروحية ٠٠

ذلك البناء الضخم من الثقة والحب والكرامات ، تريد فاطمة ان تحطمه ، بل تريد ان تمحوه بكلمة!٠ انه لامر فوق قدرته ٠٠ انه لايستطيع الاستسلام فى سهولة لهذه التهم، التى ربما لاتتجاوز الاوهام ، ولكن فاطمة ٠٠ انها لفاضلة بل آية فى الفضل والتقوى ٠٠ فكيف يعقل ان ترمى شيخها جــــزافا بمثل هذه الكبائر ؟! ٠٠ وانهــا لكبائر لو صحت ـ لاسمـــح الله ـ لطعنت سمعتها هى ايضاً ! ٠٠

مستحيل ٠٠ مستحيل ان يفعل الشيخ ذلـــك ! ٠٠ ومستحيل ان تتهم فاطمة نفسها وشيخها بشىء لم يقع ! ٠٠ اذن فلا بد ان تكون على توهم ٠٠ على خطأ فى فهم ماحدث!٠

وأطرق قليلا ٠٠ وجعلت اصابعه تعبث على غير هدى فى اسفل لحيته، التى بلغ عمرها اليوم ستة اشهر، وجعل يحدث نفسه : لماذا نسرع فى قبول التأويلات الظاهرية لتصرفات هؤلاء السادة ! ٠٠ انــــهم بطبيعة مسلكهم غرباء عن دنيا الناس ، فلاغرو أن يسيئوا تفسير احوالهم٠٠ وهذه كتبهم المعتبرة تفيض بأخبار أولياء ٠٠ كانوا عجبا فى مخالفاتهم لظواهر الشريعة والاداب العامة !٠٠ كما طالعه بذلك أمس كتاب (القطب الصمدانى) الذى يسميه (الطبقــات الكبرى) !٠٠ حتى ليذكر بوضوح انه قرأ ماقرأ من هذه الغـــــرائب فى الصفحة الخامسة والثلاثين بعد المئة، ثم الخمسين بعد المئـــة من جزئه الثانى ٠٠ كأنما يطالعها الساعة !٠٠

أجل ٠٠ انها لصور عجيبة من كرامات اهل اللـــــه ٠٠ يتنكر لها الجاهلون من أهل الظاهر ، ولكن اصحاب الباطن هم وحدهم الــذين يعرفون ، فلا تصـــرفهم مفارقات الشريعة عن موافقات الحقيقة !٠

والشيخ ، قدس الله سره ، أليس واحدا من اولئك الاشخاص، الذين اصطفـــاهم الله من الامكنة والازمنة والاشخـــاص ٠٠ فلماذا نجيز لانفسنا محاسبته على بوادر من كلمات وحركات لابد ان تكون معانيها فوق مستوى افهامنا ٠٠!

ان من (أدب الطـــريق) متابعة الشيخ دون التفــات ٠٠ لان كل انصراف عنه نزغ من عمل الشيطان٠٠ ولاريب ان حوادث الشيخ اليوم مع فاطمه لاتعدو ان تكون ضربا من هذه الاحوال الغامضة على امثالنا ، وكل

تشكك فى شأنها انما هو ضرب من الوسواس ، يطلقه الشيطان فى طريقنا ، لينغص علينا صفاء الاستسلام ! ٠»

ولقد سمع شيخه قبل ايام ،وفي احدى حلقاته الخاصة ، يحدث تلاميذه ، وهو احدهم ، عن أهمية هذه المتابعة فى تربية المريد ٠ ومن الامثلة التى قصها عليهم آنئذ خبر ذلك المريد ٠٠ الذى أنبأه شيخه ان امه تضطجع مع رجل ، فعليه أن يذهب حالا ليأتيه برأسه ٠٠ فلم يلبث ان مضى الى الدار ٠ وعلى الرغم من أنه وجد اباه هو المضطجع مع امه ، لم يتردد فى تنفيذ امر الشيخ ، فاحتز رأسه وجاء به ليضعه بين يديه ، وهو يقول : هاهوذا رأس الرجل ياسيدى الشيخ ٠٠ ولكن لاتنس انه ابى !٠٠» وهنا أمره الشيخ أن يعيد النظر الى الرأس ، فاذا هو رأس رجل اخر ، وانما كان تمثيله شكل ابيه من عمل الشيطان، الذى اتخذ من ذلك وسيلة لدفع المريد الى معصية الشيخ ٠ فكان المريد بطاعته لشيخه أقوى من الشيطان !

ولقد كان لهذه القصة وقعها العميق فى قلوب سامعيها ٠٠ أزالت منها كل اثر للتردد في وجوب الطاعة ٠ ولعل ابا جميل نفسه كان أشدهم تأثرا بها واعتزاما لتحقيقها فى سلوكه مع شيخه ٠٠ فما له الان يسمح لوسواس الشيطان ان يراوده ، فيسمع فى شيخه مثل هذه الريب المستحيلة ، ومن ثم يسمح للشك ان يتطرق الى ثقته ، فى وقت هو احوج مايكون الى التشبث به !!

كلا ٠٠ كلا ٠٠ انها من عمل الشيطان ٠٠ وليست مهمة المريد الا مجاهدة النفس باعدادها للانتصار على نزعات الشيطان ٠٠

ولكن ٠٠ فاطمة ٠٠ انها والله لفاضلة ٠٠ وهى تقول : انه عبث بصدرها ، وانه فاتحها بطلب السوء !! نعوذ بالله ٠ افتكذب فاطمة فى ذلك ؟٠٠ ولماذا ؟٠٠

- ٤ -

وتفتقت ذاكرة ابى جميل عن اشياء وأشياء ٠٠ وتذكر فيما تذكر تلك الاتهامات الخبيثة التى طالما سمعها من اعداء الشيخ ، يروجونها عنه ليفسدوا ثقة الناس به ٠سمعهم يتهمونه باستنزاف اموال مريديه

ليشترى بها المزيد من المتاع والعقار ٠٠ حتى انهم لم يتورعوا عن اتهامه بسحب السجادة التبريزية الكبيرة من المسجد ليزين بها منزله ٠٠ بل لقد جاوزوا ذلك الى مجال السياسة ٠٠ قاتل الله السياســـة ومن يشتغل فيها ٠٠ فرموه بتأييـــد الملاحدة ، واطراء الشيوعية ، ومساندة الطغاة من الحكام ، مقابل سكـــوتهم عن مفاسده ٠٠ واغضائهـم عن سلبه اموال المساكين والمخدوعين ٠٠ !

ولم يستطع الاستسلام طويلا لهذه التصورات ٠٠ وامتلأت نفسه بالاشمئزاز من هؤلاء الاعداء ، وراح يهمس : ألا قبحا لهؤلاء المفترين ! ٠٠ لقد سمموا الجو من حول الشيخ ٠٠ وهاهم أولاء الان يكادون ان يسمموا نفسى بهذه المفتريات ٠٠ التى لاوجود لها الا فى مخيلاتهم ! ٠٠

ولم يستطع ، وهو يلعن هؤلاء الخصوم ، الا أن يتعجب من براعتهم فى اختلاق العيوب للشيخ ، حـتى اسمه نفســـــه لم يسلم من هؤلاء الخبثاء ، فراحـــوا ينسجون حوله الاقاصيص ، زاعمين ان اباه سماه فاضلا ، ولكن الناس الذين رأوا مناقبه فيما بعد نقلوه الى فويضل ! ! استصغـــارا لشأنه ، واستنكارا لمسلكه . ولكنهم بدون ريب كاذبون ٠٠ كاذبون ٠٠ ولعن الله الكاذبين !

وهنا وجد نفسه يتساءل : ولكن ٠ أحقا لاوجود لهذه الاشياء خارج مخيلات هؤلاء !؟ ألا يحسن بالانسان ان يفكر ويبحث ! ٠ وهل مجرد التفكير فى مثل ذلك يعد من عمل الشيطان ٠٠

ومرة اخرى تتفتق ذاكرته ٠٠ ويتذكر ويتذكر ٠٠ يتذكر ان الشيخ قد سافر فعلا الى موسكو ٠٠ وعاد ليحدثهم عن الاسلام الظافر هناك ٠٠ وعن سعـــادة المسلمين فى ظـل الشيوعية ٠٠ أفكان يصف الواقع ام كان ــ كما زعم مبغضوه ــ تاجرا يؤدى ماقبض ثمنه ٠٠

ثم يذكر ان الشيخ قدايد احد الطغاة الملاحدة ٠٠ اذ كان يتصيد ذكره تصيدا اثناء الحلقات ، ليدعو له ويسمع مريديه يدعون له ٠٠ لانه فى رأيه الرجل الذى سينهض الاسلام على يديه ٠٠ فلما هزم الطاغى انصرف الى تمجيد خالعيه ٠٠ ثم لم يدع بعد غاصبا الا بالغ فى اطراء فضله ، ونشر

الطيب من ذكـــره آ٠٠ والناس ـهؤلاء المفترين ـ مع ذلك يقولون: ان الشيخ يداهن القوم طلبا للمنفعة، وان كل ماتعانيه البلاد من البلاء انما يعود الى جرائم اولئك ، الذين كان الشيخ يروج لهـم الدعـاية فى اوساط المغفلين من هؤلاء المريدين !!

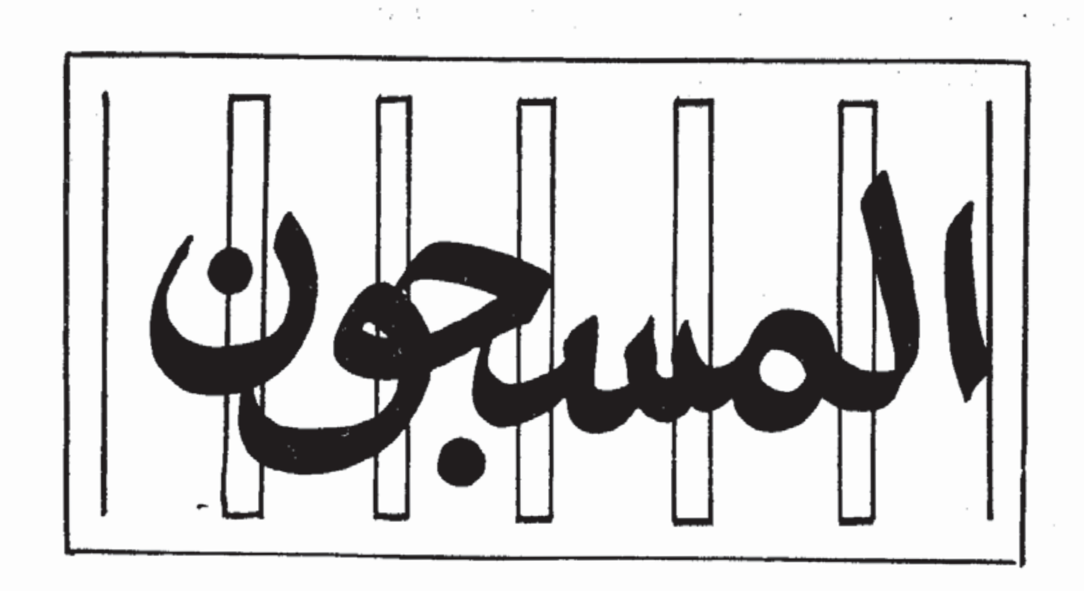
ولقد رأى بعينيه تلك السجادة الهائلة ٠ التى طال حديث الدساسين عنها ٠٠ رآها فى دار الشيخ تغطى ارض البهو جميعا ٠٠ ولاشك انها جلبت من المسجد نفسه ٠٠ ولكن٠٠ لم يحسبون ذلك سيئة للشيخ ،وهو انما وضعها هناك لاستقبال المصلين أنفسهم ٠٠ أليس مريدوه كلهم من ذلك المسجد ٠٠ وبالتالى أليست داره بمثابة جامع واكثر ٠٠ فأى فرق اذن بين ان تكون هذه السجادة هنا اوهناك ٠ انها من بيت الله لبيت الله والحكم فى الحالين واحد ٠٠ وقبح الله المضللين ٠٠

وحسب أبو جميل انه قد تغلب على كل ريبة فى صاحبه ٠٠ ولم يدر انه قد اطلق لشكوكه العنان ، تهدم فى نفسه وتبنى كما يشاء ٠٠

انه لواقع تحت شعور غريب، يشبه مايحسه الغريق عندما يرتفع رأسه فوق الماء ٠٠ وخيل اليه ان فى الحياة اشياء كثيرة فاته النظر اليها من قبل ، على كثرة مامر بها ورآها٠٠ فهو الان كسالك الصحراء يتطلع الى البعيد ، فيرى السفــن والقوافل والفرسان والنخيــل ٠٠ وعشرات المرئيات الجميلة ٠٠ بيد انه كلمادنا من موقع الرؤية اخــذت هذه المنظورات بالتلاشى ، حــتى لايبقى منها شىء ،٠٠ ومن الناحية الاخرى هو كالمحدق فى ابعـاد الافق ٠٠ يلمح نقاطا سودا خلال طبقات الغمام ،فلا يعيرها التفاتا ، ولكنها لاتلبث ان تتضح كلما صفا الافق ، فاذا هى اخيرا ســرب عريض من قاذفات القنابل ، تملأ باحجــامها وهديرها الفضاء ٠٠

وهنا فوجىء أبو جميل بصوت المؤذن يدعو الناس الى صلاة الفجر ٠٠ فنهض من مقعده على الشرفة ،ليردد معه انشودته الحية فى تأثر بالغ ، ثم مالبث ان غادر مع زوجته البيت متجهين نحو المسجد القريب

وبدلا من ان يعودا الى بيتهما عقيب الصلاة ، أخذا طريقهما فى الاتجاه الاخر ٠٠ وعلى مدخل بيت فاطمة خاطب أبو جميل زوجته قائلا: ستعودين بها الى البيت حالا ٠٠ اما انا فسأدخل على فويضل ، ولن أعود حتى أسترد أموالى ٠٠



المساجين كثيرون لا يحصى لهم عدد !! في عالم يبني السجون قبل أي شيء آخر ، لكني رأيت منهم مسجونين : لا أدري أيهما أعظم وزراً من صاحبه . . وأشنع حالاً وأكبر ضرراً . .

البائسُ المسْجُونُ هلْ يَنْبَجِسُ — أمْ هل تُفيقُ من الغوايةِ أنفُسُ
هذا يَسيْرُ بِدينهِ مُتَأرْجِحاً — والآخرُ المسكينُ أصبحَ يَنعُسُ
والحقُ أمْسَى حائراً في أمرِهِمْ — ما بينَ أحمقَ بالرّدى يتَلَبّسُ
ومُغَفّلٍ طمستْ حقيقةَ دينِهِ — أكمامُه : فهو الغَنيُّ المُفْلِسُ

قد أعجبتْني في الغُوَاةِ عِمَارةٌ — لكنها بُنيتْ بغيرِ أسَاسِ
وضحكْتُ من قومٍ تكدّسَ عندهمْ — ذاك الأساسُ وهمْ بلا إحساسِ
لا هؤلاءِ بقادرينَ على البِنَا — والآخرونَ مَهَالِكٌ للنّاسِ
فبأيّهمْ ترضى الحيَاةُ وكلّهُمْ — يمشي ، ولا يدْري، إلى الإفلاَسِ

يا قومُ هل يكفي لنهضةِ أُمةٍ — سُبُحاتُ درويشٍ وفَتْوَى عالِمِ

وتَرَاكمُ الصُلَحاءِ في أنحائنا — من غير ما صوتٍ لهمْ في العالَمِ

من غيرِ ما يدرونَ ما هو يومُهُمْ — فضلاً عن الأمرِ الخفيِّ القادِمِ

ما بينَ مُنعزلٍ إلى أحلامِهِ — ومُجَنْدَلٍ في القيدِ ليسَ بِقائِمِ

يا قومُ أيُ طريقةٍ هذي التي — جَمَدتْ بكمْ في الدّهرِ أيّ جُمود

هلاّ انطلقتمْ بالقلوبِ وبالحِجَى — وخرجْتُمُ من ظلمةِ (التقليدِ)

هلاّ كما فعلَ (النبيُ) وصحبُهُ — بعثوا الوَرَى (بحضارةِ التوحيدِ)

يا قومُ لا يُرجَى لأيِّ عزيمةٍ — قلبٌ يُصَفّدُهُ الهوَى بقيودِ

عبد العزيز القارىء

العقــــاب

ما نقض قوم العهد الا كان القتل بينهم ، ولا ظهرت فاحشة فى قوم الا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر ·

البزار ورجاله رجال الصحيح



بقلم الطالب

محمد ضياء الرحمن الاعظمى

حينما كنت طالبا فى كلية شبلى بمدينة اعظم كده منذ تسع سنوات تقريبا وقعت يدى على بعض الكتب التى تتعلق بقواعد الاسلام فاقبلت على دراستهـا بكل رغبة واجتهاد ،وأول كتاب قرأته هو «الدين الحق» المترجم باللغة الهندية لفضيلة الشيخ ابى الاعلى المودودى حفظه الله ٠ وبدأ هذا الكتاب بقول الله عزوجل « ان الدين عند الله الاسلام» وكنت جاهلا بمعانى القرآن الكريم ومع ذلك فقد أثرت ترجمة الآية فى نفسى تأثيرا شديدا لأنى كنت أعتقد دين آبائى اعتقادا جازما انه الحق والعداوة للاسلام كانت راسخة فى قلوبنا نتيجة الاتهامات الكاذبة الشائعة لملوك المسلمين من قبل المؤرخين الهندكيين الذين كنا ندرس كتبهم فى المدارس الحكومية ، ويزعم هؤلاء المؤرخون ان المسلمين قد حكموا البلاد بالظلم والعدوان ٠

وهذا يتركز في اذهان الطلاب الهندكيين لاجل ذلك يجد الطالب نفسه مضطـــرا لمعاداة المسلميـن وبغضهم .. وازدادت تلك العداوة حتى عمت البلوى ، وكنت ممن يكن البغضاء للمسلمين ، فجعلت أبحث في الكتب الاسلامية عن الاسلام ليلاونهارا لعلى استطيع بذلك الطعن فيه، ولكن الامر قد انعكس حينما أثرت هذه الكتب في نفسي تأثيرا الجأني الى هجر الكتـــب الدراسية التي كنت أدرسها في ذلك الوقت .

ومن المعلوم ان الدين الهندكي كان منذ الاف السنيـــن هو المصدر الوحيد للحضارة الهندية وأساس قوانينها ، لذلك كنـــت في قلق واضطراب من «ويدك وهـــرم» وقدقضيت بضع سنين في هذه العصبة الجاهلية .

والمؤرخون الهندكييـــن يكنون للمسلمين عداوة شديدة في صدورهم ويكشفون عنها الحجب في كتبهم التاريخية . أحيانا يطعنون في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهرة بقولهم انه كان راغبا في حياة الدنيا ولذاتها وهذا الجهل المركب تركز في عقول شباب الهندكيين .

ومهما يكن فان عداوة الاسلام كانت من تراث آبائنا ، فاذا نظرت الى احوال المسلمين لم أجـــد فيها مايرغبني ، فانهم متخلفون من الوجهة الاقتصادية والوجهة الخلقية ، لذلك كان معظم الناس يقولون ان الانسان اليوم في اشد حاجـــة الى الهـدى والرشاد ممن يهديه اليهما بعد ان ضل ضلالا بعيدا .

وبالجملة فان جميع الاسباب لمعاداة المسلمين والاسلام كانت متوفرة لدى الطالب الهندكي ، ولايستطيع الطالب بمعلوماته القليلة الضيقة أن يبحث مباحث توصله الى دين الحق، ويكشف عنه ظلمات اللبس وسحب الجهل ، اذ ليس من المعقول ان تعتبر هذه المعلومات الضئيلة كافية لحـل مسائل الحياة الانسانية ، فوجهت نفسي مضطرا للـــرجوع الى «ويدك وهرم» ليطمئن قلبـــي بما أختار واسير على الطريق القويم ، تـــكن ماوجدت فيه الا أساطير الاولين من عبادة النــــار والبحـــر والاشجار والاحجار وغيـــرها من الجمادات والبهائم التي لاتملك لنفسهـا نفعا ولا ضرا فكيف بغيرها .

وأحيانا يعلل خلق الكون بصورة شنيعة قبيحة فيها رائحة منتنة يفر منها الانسان اللبيب وهانذا أسوق اليك ايها القارىء الكريم بعضها :

يقول الدكتور تاراجند الفيلسوف الهندكي فى كتابه :

(فكرة ويد) : ان الاضحية (أى ذبح الحيوان) آية لصلاح العالم وهى وسيلة القوة للخالق لانه اذا تعب من الخلق وذهبت قوته فالملائكة يستردون هذه القوة بالاضحية فينزل بها المطر وتطلع بها الشمس ويأتى بها الطوفان لان هذه هى السبب الوحيد الذى تتم به ارادة الخالق (ص ٣٠)

(وشو) : هو الاله الثالث فى اعتقادهم وهو خالق السماوات والارض ومابينهما وهو على كل شيء حفيظ ، له أعين فى جميع الجهات كلها وله وجه فى جميع الجهات له أيد وأرجل كثيرة وهو وحده لاشريك له ٠

(رتى ويد ١٠ـ٨١ـ٢ـ٤)

وهو ذات واحدة يسمى برم برش ـ افضل الناس ـ له آلاف الرؤوس والاف الاعين والاف الارجل وهو محيط بجميع العالم ومنفصل عنه وكل ماكان ويكون فهو صادر منه وهو مالك الحياة الابدية ولايعاقب على اى عمل يعمله لان اعماله كلها خير ٠

(فكرة ويدانت) : يقول المفكر الهندوكى وويكانند فى كتابه HINDUISM

خرج هذا العالم من العدم الى الوجود بارادة الخالق ، المادة والروح والخالق كل منهما أزلى وقديم لايجرى عليها زمان ولايأتى عليها حدوث تدوم الحياة كما يدوم الخالق وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن ٠ أما الخالق فهو موجود فى كل زمان ومكان عالم بكل شيء ليس له صورة حسية ولن يستطيع احد ان يصل الى رفعته اذا ادعى أحد لنفسه انه الله فقد كفر به ٠

(ص ٦٤ـ٦١)

(فكرة منو السمرتى) : ان هذا الكتاب هو المأخذ الاساسى لقانون الهنادك ودونك الباب الاول الذى يبحث فيه عن الخلق :

ان هذه الدنيا كانت غامضة لاتوجد لها علامة ولا وسيلة يتوسل اليها ثم ظهر ـ برميشور ـ (اله الالهة) بمادة التكوين وأراد ان يخلق

خلقا من ذاته فخلق الماء وألقى فيه النطفة وأصبحت هذه النطفة بيضة فاذا ـ ببرهما ـ الخالق يخرج منها وكسر البيضة نصفين فخلــق من احدهما الجنـــة ومن الثانى الارض والسماء وما بينهما والجبات الثمانى والبحور الهادئة ، ثم اخرج من فمه (براهمن) ومن عضده «جهرى» ومن فخذه «ويسن» ومن رجلــه «شودر» فما دام برهما مستيقظا فالدنيا باقية واذا أخذه النوم تقوم القيامة ـ من الباب الاول الى الخامس ثم العاشر ـ

(فكرة بران) يعــد بران عنــد الهندكيين من الكتب المقدسة اسفاره أكثر من أن تحصى ولكن كله ينسب الى ويدوياسى فاختلف اصحاب بران فى خلق العالم وجــاءوا بالقصص الماجنة البذيئة ودونك بعضها :

يقول صحاب بران «ديوى بهكوت» الخالق لهذا العالم هو امرأة من شرى بور اسمها ـ شـــرى ـ وهى التى خلقت الالهة الثلاثة المعروفين لديهم «برهما» (خالق الحيـــاة) و«شنو» (الرازق) و ـ مهيس ـ قابض الارواح ٠

لما ارادت هذه المرأة ان تخلق العالم وضعت احدى يديها على الاخرى فاذا ببرهما خرج منهـــا وأمرته ان يتزوجها فأبى لانه أعتقد انه ولدها فغضبت المرأة غضبا شديدا فأحرقته ثم أعادت عملها فخرج منها «وشنو» فأمرته أن يتزوج بها فأبى فأحرقته أيضا ثم أعادت العمـــل فخـــرج « مهيش » فأمرته أن يتزوجها فامتنع الا بشرط وهو أن تغير صورتهـــا وتأتى بصورة غيرها ففعلت ما طلب منها ثـــم طلب « مهيش » أن تحيى أخويه الذين أحرقتهما فأحيتهما ، ثم طلب منها أن تخلق امرأتين يتزوج كل واحد منهم بواحدة ففعلت وتزوج كل واحد منهم بواحدة فهؤلاء الالهة الثلاثة هم الذين خلقوا العالم ويديرونه (ستيسارتق بركاش الباب ١١) ٠

وفى هذه الكتب المقدسة عندهـم أفعال ينسبونها الى الخالق لا يرضى أحد من الناس أن تنسب اليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٠ فكأن مثلى بعد دراسة « ويدك وهرم » كمثـــل رجل فر من المطر خـــوفا من البلل ووقف تحت الميزاب أو كمـــال قال الشاعر العربى :

المستجير بعمرو عنــد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد ذلك انشرح صدرى للخروج من دين آبائى وطرح العقيدة الجاهلية والدخول فى الاسلام وسجدت شكرا لله القائل « ان الدين عنـــــد الله الاسلام » ٠

« الامور التى حملتنى على الدخول فى الاسلام » :

١ ـ ان الاسلام ليس دينا موروثا عن الاباء بل هو لكل من يفتح لـــه صدره ٠

٢ ـ ليس فى الاســـلام فوارق جنسية ولا عصبيات جاهلية فقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ٠ (الحجرات) ٠

٣ ـ ان الاخوة الاســـلامية فى الاسلام مقدمة على جميع علاقـــات النسب والوطن كما بين الله تعـالى فى قوله « قل ان كان آباؤكم وابناءكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصـوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين (سورة التوبة) ٠

٤ ـ ان الحديث العهد بالاسـلام يصبح كواحد من عشيرة المســـلم المولود فى الاسلام قال تعالى « انما المؤمنون اخوة » وان العالم الاسلامى يعتبر له وطنا حقيقيا مصداقا لقوله تعالى « يا عبادى الذين آمنوا انأرضى واسعة فأياى فاعبدون » (المؤمنون)٠

٥ ـ ان الاسلام قانون لجميـــع شئون الحياة الانسانية وهو يقدم أحسن حل فى المشاكل الفرديـــة والاجتماعية وقد أخطأ الذين يحصرون الاسلام فى المساجد والخانقاهـــات والاربطة ٠

هذه هى الامور المهمة الثابتة التى أدركت حقيقتها قبل تسع سنوات فى الايام الجاهلية وكنت على دين آبائى فاهتديت بحمد الله لتـركه واتجهت الى الاسلام بكل وجودى وهو حـــق لا يرتاب فيه عاقل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ٠

ولما دخلت فى الاسلام اصابنى مصائب شتى « سنة الله التى قد خلت فى عباده » وصدق الله «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»

المرحلة الاولى : ان والدى حرمنى من التعليم العالى وأخرجنى من «مدينة أعظم كره » وبعثنى الى « كلكتا »حيث صرت غريبا لا أجد فيها أحدا مـن المسلمين أعرفه ويعرفنى ولكن الله يسر لى فى غربتى من أرشدنى وأعارنى ما كنت فى حاجة اليه من الكتب ،ولولا ذلك لكان اسلامى فى خطـــر

عظيم ، والحقيقة ان هذه المرحلة كانت على أشد مما يتصور وبعد الوصول الى كلكتا مباشرة بحثت عن مركز الجماعة الاسلامية فوجدته وحصلت على بعض الكتب الهندية المترجمة وبدأت اطالعها لاستعد للمراحل الاتية • وقد اطمأنت نفسى بمصاحبة الشيخ عبد التواب حفظه الله فى هذه المرحلة فأحمد الله الذى يسر لى الامور الى هذا الحد وايضا أشكر المخلصين الذين ساعدونى كل المساعدة فى اللحظات الخطيرة والله لا يضيع أجر المحسنين •

المرحلة الثانية : هذه المرحلة كانت مرحلة البحث والمناظرة مع النساك الهندكيين مع صغر سنى وقلة علمى وبعدى عن المسلمين وكلما فكرت فى البحث والمناظرة التى جرت بينى وبين النساك الهندكيين تعجبت كيف انتصرت عليهم وقد كانت القوى الكافرة متألبة على اسلامى على اختلاف مسالكها ومذاهبها •

لا أذكر من أسئلتهم الا سؤالا واحدا وهو قولهم «لم تختارون الاسلام مع أن المسلمين فى شدة وضيق وتفرق وفقر وبعد عن الاخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة ؟ فأجبتهم قائلا : ما اخترت الاسلام الا بعد مطالعة قواعد الاسلام لا بدراسة أحوال المسلمين اليوم وان كنتم فى ريب منه فاعرضوا على ما أشكل عليكم من أصل الاسلام وعقيدته • ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبهتوا وسكتوا، وانقلبوا حائبين يلومون أنفسهم كما هى عادة المعاندين عند المحاولة فصدق عليهم قول الله عز وجل فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين • فما كنت أرجع الى بيتى الا وقلبى مطمئن بالايمان واستمر هذا البحث والنقد خمسة عشر يوما متوالية •

المرحلة الثالثة : ثم جاءت مرحلة الاذى والتعذيب التى كنت انتظرها بفارغ الصبر فمن أذاهم أنهم حبسوا الماء والطعام عنى وانقضوا على ضربا بالعصا والنعال فاستمروا بجهودهم شهرين متتابعين وبعد ما يئسوا من رجوعى الى دينهم تآمروا على قتلى ولولا أن الله سبحانه أنجانى منهم بلطفه الخفى لقتلونى شر قتلة ، فيسر الله لى طريق الهجرة وهاجرت الى مكان هادىء تاركا والدى والرفقاء والاصدقاء وكثيرا من العشيرة الاقربين لأحافظ على دينى وايمانى كل المحافظة بفرح وسرور ، كما هاجر أبونا ابراهيم عليه السلام قائلا : انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم •

المرحلة الرابعة : فلما خرجت من وطنى مهاجرا الى ربى ووصلت على بعد ٤٠٠ كيلو متر غربا الى بلدة بدايون أردت أن أقرأ القرآن وأتعلم

اللغة الاردية فعينت مدرسا للغة الهندية والانجليزية والتاريخ والرياضيات فى مدرسة اسلامية صغيرة ، وفى أوقات الفراغ كنت أتعلم القرآن • ولكن الهندكيين علموا بذلك بعد سنتين ولم يرضوا بهذا فجاءت المؤامرات الاخرى • ووجدت نفسى مضطرا الى الخروج من هذه الناحية الى ناحية أخرى بعيدة عنها وهى مدراس فى جنوب الهند وتبعد عنها بدالون ألفى ميل •

ولما وصلت الى مدراس التحقت بمدرسة دينية معروفة تسمى «بجامعة دار السلام » وهى محاطة بالجبال والاشجار ذات بهجة ومنظر ممتع يسر الناظرين ، ثم أصبحت طالبا رسميا فى تلك المدرسة وهذه المدرسة تهتم بالتعليم والتربية متمسكة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فبذلك حفظنى الله من التعصب للمذاهب واتباع الاهواء والفرق المبتدعة والطرائق الخرافية •

فطفقت أتعلم اللغة العربية وآدابها وعلومها والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، وتعلمت شيئا من المنطق والفلسفة • واستمرت دراستى ست سنين ، ثم بعد التخرج فى المدرسة قدمت طلبا للالتحاق بالجامعة الاسلامية الى صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة كى أنهل العلوم الشرعية من مناهلها الصافية فقبل الشيخ طلبى فسافرت من بلاد الهند الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سائلا الله تعالى أن يجعلنى من الحنفاء المخلصين له الدين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

الحرية

حين تكون الحاكمية العليا فى مجتمع لله وحده متمثلة فى سيادة الشريعة الالهية تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر •

ولا حرية فى الحقيقة ولا كرامة للانسان فى مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد •

المعالم/ سيد قطب

- ٢ -

لمحات تاريخيّة من حياة ابن تيميّة

بقلم الطالب : صالح بن سعيد بن هلابى

لا بد للدارس لحياة ابن تيمية من معرفة الاحوال الفكرية والاجتماعية والسياسية فى عصره حتى يأخذ وينظر من خلال تلك الحالة الى حياة ذلك الامام العظيم ، فقد كان عصره وهو القرن السابع والثامن الهجرى يموج موجا بالافكار الدخيلة على الامة الاسلامية حيث تشعبت الافكار واختلفت الاراء فى كثير من المسائل الشرعية وخاصة مسائل العقيدة التى يبنى عليها اساس كل شىء ،

فقد عاصر ابن تيميه فرقا كثيرة من الفرق الاسلامية التى شطحت وابتعدت عن الحق ونابذت أهل الحق فى كثير من المسائل الاصولية ٠

وأكثرها امتدت جذورها الى ديانات أخرى من نصرانية ويهودية ووثنية جاء الاسلام على انقاذها أو ابطالها من اساسها فمن شيعة امامية على اختلاف مشاربها وتباعد ديارها، ومن رافضة غلاة اتباع عبد الله بن سبأ اليهودى ومن معتزلة فلسفية حكمت العقل وحده ، ومن جبرية مستسلمة يقولون ان الانسان لا ارادة له وأنه كريشة فى مهب الرياح تصرفه كيف شاء ٠٠

ومن منتسبة للاشعرى آمنت ببعض الصفات وانكرت بعضها أو أولتها ونصبت نفسها الفرقة الوحيدة التى تمثل أهل السنة والجماعة ٠

كل هذه الافكار والفرق عاش ابن تيمية كل حياته فى خضمها يجاهد بقلمه ولسانه ويدافع عن جوهر العقيدة الاسلامية دفاع المستميت المتفانى فى سبيلها ، فقد كتب عن الشيعة والروافض كتابا ضخما عظيما فى أربع مجلدات سماه «منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية» وهو رد على كتاب « منهاج الكرامة » لمؤلفه ابن المطهر الحلى الشيعى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وقد كتب ابن المطهر كتابه هذا بصفة خاصة الى الملك

« الجايتو خدابنده » وهو أحد ملوك الايلخانية ومن أحفاد الملك « جنكيز خان » يدعوه فيه الى مذهب الشيعة الامامية .

وقد تناول ابن تيمية فيه أصول مذهبهم وتصدى للتفصيل والبسط فيه بعقلية جبارة مؤمنة يعرف كيف يضع النقاط على الحروف ويضرب على المحز من حيث لا يشعرون فرد مذهبهم الى جذوره الاصيلة التي يبنون عليها فقد كان بحق نقض كلامهم وتهافتهم في كل باب يفتحونه على أنفسهم ولا يستطيعون اغلاقه ..

ابن تيمية والصوفية الفلسفية :

تطورت فكرة التصوف والصوفية في عهد بن تيمية الى أفكار خبيثة تهدم الاسلام هدما صريحا وتقيم وثنية فلسفية باسم الزهد والولاية والكرامة فقد تحول مفهوم التصوف الدال على الصفاء وتزكية النفس ـ وان كان أصل الاسم من اساسه خطأ تحول هذا المفهوم الى مفهوم آخر هو القول بوحدة الوجود أو بمعنى آخر حلول الله في بعض مخلوقاته تعالى الله عن ذلك علوا كبير ، وقد تزعم هذا القول وأعلنه في كتبه العديدة ومن أشهرها كتاباه الفتوحات المكية وفصوص الحكم ذلك الملحد الخبيث أبو بكر محي الدين ابن عربي الطائي الاندلسي ومن أقواله الكافرة :

الرب حق والعبد حق
يا ليت شعري من المكلف ؟؟
ان قلت عبد فذاك رب
أو قلت رب أنى يكلف ؟؟

فسر هذا الكلام عند اتباعه الذين يتبعونه وهم لا يدركون حقيقته بان فيه رموزا واشارات لا يدركها أهل الشرع ، وانما هي للخواص وخواص الخواص ، وأصبح له اتباع في ذلك العصر وهم لا يدركون حقيقة هذا الكفر ، ثم جاء من بعده ابن الفارض يفلسف مذهب الحلول على رأيه ويدعى الالوهية في بعض الاحيان .

ومن أقواله الكافرة :

لها صلواتي في المقام أقيمها
وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ناظر الى
حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن
صلاتي لغيري في اداء كل ركعة

رأى ابن تيمية هذا الكفر البواح ودعوى الالوهية والتفكير الفلسفي الوثني الذي ما كان يخطر ببال أحد من المشركين الوثنيين الجاهليين في الجاهلية الاولى بل كانوا مع عبادتهم

لغير الله تعالى يؤمنون بأن الله رب السموات والارض وأنه هو الرازق الخالق فهذا زهير بن ابى سلمى الشاعر الجاهلى يقول :

فلا تكتمن الله مافى نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وهو القائل :

وأعلم علم اليوم والامس قبله
ولكننى عن علم مافى غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

فأين هذا القول من قول «ابن عربي وابن الفارض وغيره من الملاحدة فى ذلك العصر . رأى ابن تيمية هذا الانحطاط فى الفكر حيث أخذ يسرى فى الامة وأصبح يشار الى هؤلاء بالبنان تارة باسم التصوف والزهد وتارة باسم الكرامة والولاية فثار ثورته وانقض عليهم كالاسد يرد على أقوالهم الباطلة وأخذ يردها الى أصولها الوثنية القديمة ويشهرها فى الناس حتى يكونوا على بينة من أمرهم والواقع لم يكن ابن تيمية وحده الذى كفر ابن عربى وغيره من هؤلاء بل هناك من كبار العلماء من أهل السنة وغيرهم من كفر ابن عربى وألقوا فيه الرسائل العديدة أو ذكروه فى تراجم كتبهم مثل الحافظ ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان وابى حيان المفسر فى تفسيريه « البحر والنهر » وقال شيخ الاسلام ابن دقيق العين « لى أربعون سنة ما تكلمت كلمة الا وأعددت لها جوابا بين يدى الله تعالى وقد سألت شيخنا سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام عن ابن عربى فقال « شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا » وقد بالغ ابن المقرى فحكم بكفر من شك فى كفر طائفة ابن عربى » فهؤلاء أئمة الصوفية الحلولية وجد ابن تيمية أقوالهم منتشرة فى العامة والخاصة الا من عصم الله وقليل ما هم .

مناظراته ودفاعه عن العقيدة :

اشتهر أمر ابن تيمية وذاع صيته فى العامة والخاصة وأصبح يشار اليه بالبنان وتعقد له المناظرات فلا يستطيع أحد أن يقف أمامه أو يناظره الا أقحمه وقطع لسانه ومن هنا دب الحسد والحقد الى قلوب مخالفيه وأعدائه وفى هذه الفترة بالذات وفى سنة ٦٩٨ هـ يأتيه سؤال فى العقيدة من حماة فى مسألة صفات الله عز وجل فأجاب السائل فى عدة كراريس وهى المعروفة اليوم بالرسالة «الحموية» جاء فى أولها « قولنا فى الصفات ما

قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ٠٠ الى أن قال ثم كيف يكون خير قرون الامة انقص فى العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام اسمائه وصفاته من هؤلاء الاصاغر أم كيف يكون أفراخ المتغلغة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين واشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان؟؟ وقد شنع عليهم فى هذه الرسالة أعظم تشنيع وبين سقطاتهم وتهالكهم فى هذا الباب فحين انتشرت هذه الفتوى بين العامة والخاصة ومضى عليهم زمن طويل لم يسمعوا هذا الكلام قام عليه الحساد ، ومن أهل الطوائف ، ومن جعل علم الكلام والفلسفة يفضل كلام الله ورسوله فى الاستدلال ورموه بما هو منه برىء كبراءة الذئب من دم يوسف ولكن الذى يلفت النظر أن أحدا منهم لم يستطع أن يرد عليه أو يناظره انما شكوه الى القاضى جلال الدين الحنفى وهو أشعرى المذهب أو ماتريدى وأرسل القاضى فى طلب الشيخ ابن تيمية فلم يحضر انما رد عليه فى رسالة قائلا « ان العقائد أمرها ليست اليك وان السلطان انما ولاك لتحكم بين الناس وان انكار المنكرات ليس مما يختص به القاضى وحده » وفى يوم الجمعة اجتمع القاضى وبعض فقهاء المذاهب بالشيخ وناقشوه فى عقيدته وحصلت لهم مناظرة أمام الناس فأجابهم بكل شجاعة وبسالة ولم يستطع أحد أن ينال منه فى هذه المرة ٠

وفى سنة ٧٠٥ هـ فى شهر رجب قامت محنة أخرى على هذا الامام الجليل من قبل الطوائف المعادية وبعض الفقهاء وذلك بسبب انتشار فتوى فى العقيدة على أثر سؤال جاءه من أرض واسط وبين فيها مذهب السلف فى الصفات ورد على المتكلمين والمؤولين والمحرفين والمشبهين فقامت قومتهم واشتكوه فى هذه المرة الى السلطان والى قصر السلطان جاء شنكير وأحضر الامير نائب السلطان بالشام الفقهاء والعلماء وأحضر الشيخ ابن تيمية الى مجلس نائب السلطان على أن يعقد لهم مناظرة ويسأله عن اعتقاده وحين بدأ الشيخ يجيب ويدافع عن عقيدة الحق ويشرح الذى دفعه الى كتابتها كان يقاطع أثناء كلامه لئلا يتمكن من ايضاحها

للحاضرين وهو يقول لنائب السلطان « لو أن يهوديا طلب من السلطـان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه وأنا قد أعفوا عن حقى وقد لا أعفوا بل قد أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون على ليحاكموا على افترائهم ... الخ ما قاله رضى الله عنه ولولا ضيق المجال لسقنا المناظرة بكاملها

وفى نفس السنة ثارت ثورة طائفة تسمى بالاحمدية ثارت على الشيخ ابن تيمية وحضر جماعة منهم يشتكون الشيخ الى نائب السلطان وان يكف عنهم ويتركهم وشأنهم وما هم عليـه وخلاصة أعمالهم انهـم يستعملون السحر ويتعاطون بعض الاشـياء الشيطانية ويدخلون النار أمـام الناس بزعمهم أن هذه الاعمال ولاية أكرمهم الله بها ، فانبرى لهم ابن تيمية فى المجلس وقال « ان هـذه أحوال شيطانية باطلة وأكثر أحوالكم من باب الحيل والبهتان ومن أرادمنكم أن يدخل النار فليدخل أولا الى الحمام ويغسل جسده غسلا جيدا ثم يدلكه بالخل والاشناق ثم يدخل بعد ذلك الى النار ان كان صادقا ولو فرض أن أحدا من أهل البدع دخل النار بعد أ يغتسل فان ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته بل هى حالة من أحوال الدجاجلة المخالفين للشريعة » .

فقال شيخ منهم « نحن أحوالنا انما تنفق عند التتر ليست تتفق عنـد الشرع » قـال ابن كثير فضبط الحاضرون عليهم تلك الكلمة وكثـر الانكار عليهم من كل أحد وألف ابن تيمية بعد هذا المجلس فيهم كتابا سماه شيوخ الاحمدية أو طريقـة الاحمدية بين فيه مذاهبهم ومن أين أخذوا هذا السحر وأظهر حكم الاسلام فيهم وفى أمثالهم من المشعوذين ، ولقد عاصر ابن تيمية هذه الفرق وأعطى كل قسم حقه ولم يدخر وسعا فى كشف حقائقهم وأباطيلهم ولم يعرف عنه التوانى أو المداهنة أو المراوغة بل كان سيفا مسلولا على هذه الفرق الضالة التى أفسدت عقيدة الامـة الاسلامية وكادت أن تذهب بها أدراج الرياح ..



نشرت مجلة حضارة الاسلام التى تصدر من دمشق المقال التالى وذلك فى العدد الرابع آب/ ايلول ١٩٦٩ م:

أحشفا وسوء كيلة

هذا مثل تضربه العرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، فمثل من يكون كذلك مثـل من لا يكتفى ببيع أردأ أنواع التمر ـ وهو الحشف ـ وانما يجمع الى ذلك سوء الكيـل أيضا ٠ والذى أعنيه كائن وراء هذا الذى أقول ، فأنت واجد اذا انعمت النظر أن هناك صنفين من البشر تبدو فى سلوكهم صلة القربى مع هذا المثل الواضح المستبين ٠

أما الصنف الاول : فهو أولئـك الناس الذين يقعدهم جهلهم أو عجزهم عن تحمل تبعات الاسلام فى صفائه ودعوته الى استقامة العمل والوقوف عند حدود الله عز وجل ٠٠ فيحملون الاسلام نفسـه حصيلة جهلهم أو عجزهم عن الاستقامة على الطريق التى قد تكون من الوعورة بحيث يهابهـا ضعاف النفوس، ويرهبها الذين يثقلهم حب الشهوات والعافية والطمع فى العاجلة والغرض القريب ٠ فبدلا من التنقيب عن المرض الذى به قعدوا عن مسايرة ركب الاسلام ، والامانة فى التزام حدوده ، تراهم ينعون عـلى الاسلام أنه غير صالح للحياة ، أو أنه لا يساير ركب التطور ٠٠ أو ٠٠ أو ٠٠ وقد يذهلك التعداد بشعبه الشيطانية وألوانه المخزية ٠

ولو أن هؤلاء النفـــر من الناس استطاعوا أن يتحرروا ـ ولو بعض الشيء ـ من عبوديتهم لغير الله جل وعز ، وتزودوا بشيء من المعرفة ، وأضاءت نفوسهم بقبس من نــور التقوى والهداية ، لسلم لهم وضوح الرؤية وأبصروا الامور على حقيقتها ، وأدركوا أن العلة لا تكمن في هــذا الدين الذي أكمله الله ، وأتم به النعمة ، ورضيه لعباده أجمعين ٠ وانما تكمن في أنفسهم هم ، ولأيقنوا أنهم هم موطن العـــلة التي باضت وفرخت في عقولهم وحولت طاقاتهم الى نزوات وشهوات ٠

فهؤلاء الصنف من البشر بدل أن يستأنفوا الطريق لاصلاح الخطـأ يجمعون الى جهلهم أو عجزهم ، اتهام الاسلام ، تبرئة لنفوسهم الجاهلة العاجزة المريضة وتسويغا لما يكون من انحرافهم عن جادة الصواب ، والعياذ بالذي قال في كتابه ـ وهو أصدق القائلين ـ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرهـــا ومستودعها كل في كتاب مبين » ٠

أما الصنف الثاني ٠ فهو أولئـك الذين يمثلون ظاهرة التخلف عــن طريق الاسلام في دعوته الى العلم والمعرفة ، والانهزام النفسي أمـــام انتصارات أولئك الذين يمســكون اليوم بزمام الحضارة الحديثة وقد جمعوا العلوم المادية من أطرافها ، وباتوا يطالعون العالم كل يـــوم بجديد ٠

فهؤلاء لا يحملون جهلهم وانهزامهم ويسكتون ، بل يحاولون أن يتمسحوا بأذيال الاسلام فيفترون عليه الكذب بما يكون من قالتهم : الدين لا يرضى بالصعود الى القمر مثلا ، وهذا أمر يجوز ، وذاك في نظر الاسلام لايجوز ٠٠ الى آخر ما ترى وتسمع من الجود بالفتاوى وطرح الاحكام ٠

ويا عجبا لأمر الجهل ماذا يصنع بصاحبه ، يورده مــوارد الهلكة ، ويسلكه في قطيع التائهين ٠٠ ولو أن الامر في تصرف الجاهل يقتصرعلى دائرة شخصية ضيقة ، لهان الخطب ، ونفعت الحيلة ، ولكن الامر يتعدى الى دائرة أوسع وأشمل هي دائـــرة الجماعة ، والطامة الكبرى في أولئك الذين يلصقون بالدين زورا وبهتانا ما ليس منه ويفترون عليه ما هــو منه براء ، الدين الذي قام عليه كيان الامة وغذى تاريخها الحضاري ـ بل تاريخ الانسانية ـ عبر قرون وقرون ، هذا الدين ٠٠ يحاول بعض الناس أن يكسوه لباسا نسيجه جهلهــم وبلاهتهم ليبنوا للجهالة صرحهاالذي يضمن استمرارهم على ما هم عليه ، وليسوغوا ذلك الانحــراف الذي يتسربلونه ، حين باتت العـــودة الى مفهومات الاسلام الصحيحة ، والتزود بشيء من العلم والمعرفة من الامور التي يتجافون عنها ، وكأنما ضرب بينهم وبينها بسور لا يقضى عليــه حتى يلفظوا انفاسهم فيستريحوا ويريحوا ،

وتبارك الذى انزل فيما انزل على نبيه صلى الله عليـــه وسلم «انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» •

وأود ــ بجانب ذلك ــ أن أؤكد على التنبه الى الانهزام النفسى الذى اشرت اليه من قريب ، لانه أمر فى غاية الخطورة على حيـــاة الامة حين ننظر الى الامد البعيد ، ونحاول ان نضع القضية فى اطارها الطبيعى •

ولعل ذلك كله هو السر الذى يكمن وراء الغثاء الذى تلقيه بعض الافواه باسم الدين ، وتلقيه بعض الحناجر على منـــابر المسلمين فى موضوعات تعرض ــ فيما تعرض ــ لاحدث مرحلة علمية وصل اليهافكر هذا الانسان المخلوق ، حين استطاع بعد أن زحف مئات ومئات الالوف من السنين ان يصعد الى القمـــر الذى قدره الله منازل ، والذى تفصله عن كوكبنا الارضى مسافة تبلغ اربعمائة كيلومتر او تزيد • والذى يحز فى النفس ، ان هذا الغثاء يتمثل فى قول بعضهـــم : الصعود الى القمر حرام ، وقول اخرين من قبل : هذا أمر لايمكن أن يكون ، وأمر ثالث بعد هذا كله ، هو ماأصاب بعض النفوس الجاهلة او المريضة من تعب حيال القضية الايمانية الكبرى فى وجود الله وقدرته سبحانه وتعالى ، ناسين انه عزوجل هو القاهر فوق كل عباده وانه هو بكل شىء محيط وانه هو الـــذى اودع فى الكون ماأودع من خصـــائص وسخر ذلك للانسان •

الا ان القول بهذا كله ، أو بشىء منه جهل بالعلم والاسلام معا ، ولو ذكرنا ان الاسلام بدأ رسالته على الارض بقوله تعالى : اقرأ ، وأن الايات التى تكرم العلم وتحث عليه بلغت الحد الـــوافر فى كتاب الله تعالى ، وان رسول الله كـــان من وظيفته فى هداية الناس كونه يعلمهم الكتاب والحكمـــة ويخرجهم من الظلمات الى النور ، وأن فى احاديثه عليه الصلاة والسلام الكثير الكثير من النصوص الـــتى تكـرم العلم والعلماء ، وأن ماوراء فرض العين من العلوم هو فرض الكفـــاية ويشمل كثيرا من العلوم التجريبية الـــتى نلمس اثارها اليوم عند اعدائنا الذين أمسكوا بزمام الحضارة الحديثة بلا اخلاق وسخـــروا شعـوب العالم لاهوائهم وسلطانهم ومايبتغون •
وأن القرآن جعل طريقا واسعة رحبة من طرق الايمان بالله التدبر والتفكر فى السماوات والارض والنظر فيهما ، وفى هذا الخلق العجيب الذى تنزه عن التفاوت والعيب ، كما أراد له الله أن يكون •• نعم لو ذكرنا ذلك ــ واليسير منه يكفى ــ لما كان هذا الذى نشكو منه اليوم •

فياليت شعرى كيف يمكن ان يكون النظر ان لم يكن هنالك علم؟

وكيف يمكن إن يكون هناك تدبر ان لم يكن هنالك معرفة تساعد على هذا التدبر ؟ ان القـرآن دل العربى فى الماضى على مايمكن ان يدركه كما نرى مثلا فى قوله تعالى جاعلا النظر طريق الايمان : «أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت» باعتبار ان الناقة لها مالها من أثر فى حياة العـــربى ، فى مطعمه ومشربه وسفره وراحته وما الى ذلك، وظلت أمور كثيرة وكثيرة لايظهر اعجاز القرآن فيها الا العلم الـذى يصل اليه العقل البشرى مرحلة بعد مرحلة •

فأنى لنا أن نقول : هذا يجــوز وهذا لايجوز مع ان التدبر فى آلاء الله مرتبط بالايمان أتم الارتباط • والمفروض بالمؤمن العاقل ان يزيد ايمانه ويقوى يقينه ، بمثل هذا •• ان اكتشافنا لجانب صغير صغير من مخلوقـــات الله تبارك وتعالى لايحملنا على الشك فى وجود الله ، وانما يزيد يقيننا بوجـوده وعظمته سبحانه والاعتراف بأن هذا النظام فى المجمـــوعة الشمسية وغيرها لايمكن ان يصدر الا عن خالق عليم حكيم مبدع له الخلق والامر •

الا ان الاسلام لايهاب العلم لانه دعا بحرارة اليه ، ولا يرهب ما يصل اليه العقل البشـــرى من اكتشاف لكوكب أو كواكب من هذا الخلـــق البديع الذى لاترى فيه من تفاوت ، لانه جعل النظر والتــدبر والتفكر طريق الايمان ــ والحمد لله ــ وهذه خاصية تميز بها الاسلام •

وأكثر من هذا : لقد كان المفروض ان تصل امتنا الى هذه المرحلة قبل هؤلاء الناس بعدة قرون ان لوظللنا مع الاسلام ، وسلم لنا خطنا البيانى فى صعود صاعد بما يشرق عليه من ضياء هذا الدين الذى تربى فى ظله آلاف الرجال الذين كانوا يتقربون الى الله تعالى بما يخطون للامة من معالم المعرفـــة • وعلى ماضاع من تراثنا على ايدى التتار والصليبيين، والفتن والحروب ماتزال الاثار فى المخطوط والمطبوع شاهدة على هذا الذى نقول ، ولن تعـــدم الدنيا منصفا ــ ولو من الاعداء ــ يعترف بذلك •

فبدلا من الانهزام ، والتوكؤ الجاهل على الدين ، وتلبيسه الثوب المفترى ، لابد من الشعور بمزيد من المسؤولية ، والمحـــاولة الجادة لاستئناف الطـــريق الواعية التى تعى كل شىء قدره فى ظل الاسلام، ولن ترضى الامة أن يكون فينا اناس يحاولون باسم الـــدين ان يضمنوا الاستمرار على حساب جهـل الامة بدينها وبناء قصـــور من الاوهام والخيالات والخرافات باسم الدين ، والدين من هذا كله براء ،

ان التاريخ مايزال ينعى على أولئك الذين كانوا ينتسبون الى غير الاسلام فى اوروبا ، ويحاولون ان يحاربوا العلم باسم الدين لان بقاءهم فيما هم عليه بسلطانهم وسيطرتهم على الناس مرهون بان يظل هؤلاء الناس يغطون فى سبات عميق من الجهل والخرافة والانحراف • كان ذلك يوم كانت يـد الاسلام العالمة العارفة الحكيمة القوية ، فى مشرق عالمنا الكبير ومغـربه تشق جيوب الظلام فى العالم كله •

مرة ثانية نقول لهؤلاء وأولئك : أحشفا وسوء كيلة !! ألا لايجمعن الجاهل الى جهله بالاسلام والعاجز الى عجزه عن متابعة طريق الاسلام القاء التبعة على الاسلام • ألايضمن أولئك الجهلة والمنهزمون فى أعماقهم الى هذا البـلاء ، ان يستخدموا الافتراء وسيلة لاستمـرار وجودهم وكيانهـم ، والاسلام دين العلم والمعرفة والنور •

الا وليعلم الرواد الذين أكرمهم الله بوافر من الايمان والهدى ، ان جانبا كبيـرا من التوعية يقع على عواتقهم فى مثل هذه الامور ، فدعوة الاسلام كل لايتجزأ ، وبناء متكامل كما أراد الله له ان يكون •

ومعقد الامانة فى هذا الباب ، أن من المنكر الذى لايمكن ان تقبله نفس مؤمن، أن ينضم الى بلاء هذه الامة فى ديارهـا وأرضها ، بلاء تأصيل الجهالة واعتبارها من الاسلام باسم الحفاظ على الدين وتقوى الله عزوجل ، ليكون للاعداء مايريدون من بقاء الامة فى الوهدة التى هى عليها اليوم •

انه لابد أن تمسك الامة بالزمام من جديد وذلك بمـوالاتها حقائق الاسلام فى العلم والمعرفة ، والافادة بوعى وأمانة مما عند الاخرين ،وجعل العلم والمعرفة فى طاعة الله وتحقيق رسالة الانسان ، كيمـا يستأنف مسلم اليوم طريق مسلم الامس ،فلا تتقطع الجسور بين مسلم الغد وبين الذين حملوا رسالة طـريق المعرفة – معتزين باسلامهم – الى العالمين • وجل الذى قدر فهدى ، وتبارك الذى علم الانسان مالم يعلم ، وسبحان من أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم «سنريهم آياتنا فى الافـاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» وآخر دعـوانا أن الحمد لله رب العالمين

يستفتونك

يتولى الرد على أسئلة القراء فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز
نائب رئيس الجامعة الاسلامية

وردت من الاخ ابراهيم • م • ض • الاسئلة التالية :

البنوك

اذا احتاج الرجل الى شيء من المال لمؤنة البيت او تسديد أجرة الدار أو نحو ذلك ولم يجد من يقرضه ولا من يستدين منه فهل يجوز له أن يستدين من البنك ؟

والجواب : ان كانت الاستدانة من البنك على طريقة شرعية كأن يأخذ منه قرضا بمثله من دون زيادة او يشترى منه سلعة الى أجل معلوم ولو بأكثر من ثمنها الحاضر فلا بأس، أما اذا اقترض منه على وجه الربا فهذا لايجوز لان الله سبحانه حرم الربا فى كتابه العظيم وسنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وورد فيه من الوعيد مالم يرد فى آكل الميتة ونحوها قال الله سبحانه «الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس» قال اهل التفسير معنى ذلك انه يقوم من قبره يوم القيامة كالمجنون • ثم قال الله سبحانه بعد ذلك «ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات » •

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال :هم سواء) رواه مسلم فى صحيحه •

والايات والاحاديث فى تحريم الربا والوعيد عليه كثيرة مشهورة وليس عدم المحتاج من يقرضه اويبيع عليه بالدين يجعله فى حكم المضطر

الذى تباح له الميتة او الربا ، هذاقول لاوجه له من الشرع لان فى امكان المحتاج أن يعمل بيده حتى يحصل مايسد حاجته أو يسافر الى بلاد اخرى حتى يجد من يقرضه أو يبيع عليه بالدين الى أجل . والمضطر هو الذى يخشى على نفسه الموت اذا لم يأكل من الميتة ونحوها بسبب شدة المجاعة وعدم قدرته على مايسد رمقه بالكسب ولا بغيره وليست حاجة هؤلاء الذين يعاملون البنوك بالربا فى حكم الضرورة التى تبيح الميتة ونحوها وكثير من الناس سهل عليهم أمر الربا حتى صار يعامل فيه ويفتى الناس به بأدنى شبهة وماذاك الا لقلة العلم وضعف الايمان وغلبة حب المال على النفوس نسأل الله السلامة والعافية مما يغضبه ، ومهما أمكن عدم التعامل مع البنك وعدم الاقتراض منه ولو بالطرق الشرعية التى ذكرنا آنفا فهو أولى وأحوط لان أموال البنك لاتخلو من الحرام غالبا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) والله المستعان .

كشف الوجه واليدين

قال الله سبحانه (ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها) : زعم بعض الناس ان معنى قوله سبحانه الا ماظهر منها هو الوجه والكفان وأنه يباح للمرأة كشف وجهها وكفيها فى البيت وخارجه واحتج على ذلك بأن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال لها : ان المرأة اذا بلغت المحيض لايجوز أن يرى منها الا هذا وهذا وأشار الى كفيه ووجهه ؟

والجواب الذى دلت عليه الايات القرآنية والاحاديث النبوية ان المرأة كلها عورة وليس لها أن تكشف شيئا من جسدها للاجنبى لا الوجه ولا غيره ومما ورد فى ذلك قوله سبحانه (يأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)

وروى عن جماعة من السلف منهم ابن عباس رضى الله عنهما ان الجلباب ماتلقيه المرأة على رأسها ووجهها وتبدى عينا واحدة ، وقال تعالى (ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن) الاية : والوجه والكفان من أعظم الزينة وقال تعالى (واذاسألتموهن متاعافاسألوهن

من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) ولم يستثن شيئا لا الوجه ولا غيره وهذه الاية وان كانت في أمهات المؤمنين فالحكم يعمهن ويعم غيرهن وليس هناك دليل فيما نعلم على تخصيصهن بالحكم والعلة التى ذكرها الله وهى قوله سبحانه (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) تعم الجميع لان الطهارة مطلوبة لجميع المسلمين والمسلمات وأما قوله سبحانه فى آية النور (الا ماظهر منها) فعنه جوابان :

أحدهما : ان المراد بذلك ماظهر من الملابس لانه لايمكن ستره ولايجب عليها لبس الخلقان من الملابس التى تزرى بها فأباح الله سبحانه اظهار الملابس المعتادة البعيدة عن الفتنة وهذا معنى ماقاله الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في تفسير هذه الاية الكريمة .

والجواب الثانى أن المراد بقوله (الا ما ظهر منها) الوجه والكفان كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من السلف ولكن ذلك كان قبل نزول آية الحجاب ثم أمرن بستر الوجه والكفين بعد نزول آية الحجاب وهى آية الاحزاب المتقدمة وممن نص على ذلك شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله ويدل على هذا المعنى ما صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت حين تخلفت عن الجيش فى غزوة الافك وسمعت استرجاع صفوان بن معطل : فخمرت وجهى لما سمعت صوته وكان قد عرفنى قبل الحجاب فدل ذلك على أن النساء بعد نزول آية الحجاب سرن يخمرن وجوههن وصح عن أختها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت : كنا نخمر وجوهنا اذا دنا منا الركب ، وروى عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أنهما قالتا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع اذا دنا منا الرجال سدلت احدانا خمارها على وجهها ، والاحاديث والاثار فى هذا المعنى كثيرة . وأما حديث أسماء الذى ذكرتم فى السؤال وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يحل أن يرى منها الا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه فهو حديث ضعيف الاسناد ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم لانقطاعه وضعف بعض رواته :

أما انقطاعه فلأن خالد بن دريك الذى رواه عن عائشة لم يلقها ولم يسمع منها وهذه علة تضعف الحديث وتسقط العمل به كما نبه على ذلك ابو داود رحمه الله لما أخرج الحديث المذكور وأما ضعف بعض رواته فلأن

في اسناده سعيد بن بشير الازدي وهو ضعيف لا يحتج بروايته فاتضح بهذا أن الحديث المذكور لا يجـوز الاحتجاج به على اباحة كشف المرأة وجهها وكفيها عند الاجانب لما عرفت من ضعفه بسبب انقطاعه وضعف بعض رواته والله ولي التوفيق ٠

(احتفالات المولد)

أحدث بعض المشائخ احتفالات لاأعرف بها وجها في الشرع كالاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسـلم وبليلة الاسراء والمعراج والهجـرة النبوية ٠ نرجو أن توضحوا لنا مادل عليه الشرع في هذه المسائل حتى نكون على بينة ؟

الجواب : لا ريب أن الله سبحانه قد أكمل لهذه الامة دينها وأتم عليها النعمة كما قال الله سبحانه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » الآية ٠ وقد توفى الله نبيه صلى الله عليـه وسلم بعدما بلغ البلاغ المبين وأكمل الله به شرائع الدين ، وقال صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأخرج مسلم في صحيحه عنها رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ومعنى قوله فهو رد أي مردود لا يجوز العمل به لانه زيادة في الدين لم يأذن الله بها ، وقد أنـكر الله سبحانه في كتابه المبين على من فعل ذلك فقال عز وجل في سورة الشورى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبة الجمعة : أما بعد فان خير الحـديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتهـا وكل بدعة ضلالة ٠

والاحاديث والآثار في انكار البدع والتحذير منها كثيرة لا يقع هـذا الجواب لذكرها ٠ وهذه الاحتفالات التي ذكرت في السؤال لم يفعلهـا الرسول صلى الله عليه وسلم وهـو أنصح الناس وأعلمهم بشـرع الله وأحرصهم على هداية الامة وارشادها الى ما ينفعها ويرضى مولاها سبحانه

ولم يفعلها أصحابه رضى الله عنهم وهم خير الناس وأعلمهم بعد الانبياء وأحرصهم على كل خير ولم يفعلها أئمة الهدى فى القرون المفضلة وانما أحدثها بعض المتأخرين بعضهم عن اجتهاد واستحسان من غير حجة وأغلبهم عن تقليد لمن سبقهم فى هذه الاحتفالات والواجب على جميع المسلمين هو السير على ما درج عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والحذر مما أحدثه الناس فى دين الله بعدهم فذلك هو الصراط المستقيم والمنهج القويم كما قال الله عز وجل (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وثبت فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا على أصحابه هذه الآية ثم خط خطا مستطيلا فقال : هذا سبيل الله ٠ ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال : هذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ٠ وقال الله عز وجل « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » ومما ذكرنا من الادلة يتضح لك أن هذه الاحتفالات كلها بدعة يجب على المسلمين تركها والحذر منها ، والمشروع للمسلمين هو العناية بدراسة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والعمل بها فى جميع الزمان لا فى وقت المولد خاصة ،وفيما شرع الله سبحانه غنية وكفاية عما أحدث من البدع ٠

أما ليلة الاسراء والمعراج فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها لا تعرف وما ورد فى تعيينها من الاحاديث فكلها أحاديث ضعيفة لا تصح عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن قال انها ليلة ٢٧ من رجب فقد غلط لانه ليس معه حجة شرعية تؤيد ذلك ولو فرضنا أنها معلومة فالاحتفال بها بدعة لانه زيادة فى الدين لم يأذن الله بها ولو كان ذلك مشروعا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أسبق اليه وأحرص عليه ممن بعدهم وهكذا زمن الهجرة لو كان الاحتفال به مشروعا لفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولو فعلوه لنقل ، فلما لم ينقل دل ذلك على أنه بدعة ٠

وأسأل الله عز وجل ان يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه فى الدين وأن يعيذنا واياكم واياهم من جميع البدع والمحدثات وأن يسلك بالجميع صراطه المستقيم انه على كل شىء قدير وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ٠

أخبار الجامعة

● تم انتقال كلية الشريعة الى المبانى الجديدة الواقعة فى غرب الجامعة وبذلك انفصلت ادارتها عن ادارة كلية الدعوة وأصول الدين ، والجدير بالذكر أن المبانى الجديدة أقيمت على أحدث طراز حيث تحتوى على المزايا المناسبة للجو الدراسى للكلية .

● بدأت الدراسة فى جميع أقسام الجامعة يوم الاربعاء الموافق ٢٠ رجب للعام الدراسى ٨٩/٩٠ هـ .

● وصل الى المدينة المنورة الاساتذة الاتية اسماؤهم حيث انضموا الى هيئة التدريس بالجامعة :

ـ الدكتور محمد الصادق عرجون المصرى الجنسية ـ عميد كلية أصول الدين بالازهر سابقا . من مؤلفاته (خالد بن الوليد ، عثمان بن عفان الخليفة المفترى عليه ، التصوف فى الاسلام ، نظام الحكم فى الاسلام ، النقد الادبى عند العرب ـ رسالة نال بها الدكتوراه ـ ، حرية الفكر فى الاسلام ، أبو حامد الغزالى) .

ـ الشيخ محمود وفاء ابراهيم هاشم المصرى الجنسية (العالمية مع الاجازة فى التدريس من جامعة الازهر) .

ـ الشيخ حسن السيد متولى ـ المصرى الجنسية (العالمية مع الاجازة فى التدريس من جامعة الازهر) .

ـ الشيخ محمد المهدى محمود على المصرى الجنسية (العالمية مع الاجازة فى التدريس) .

ـ الشيخ عبد الجواد السيد البنا المصرى الجنسية (شهادة التخصص من شعبة الفقه الحنفى والاصول من جامعة الازهر) .

ـ الشيخ محمد سعيد مولوى ـ السورى الجنسية (ماجستير فى اللغة العربية وآدابها من جامعة القاهرة) .

ـ الشيخ ناجى محمد شفيق عجم السورى الجنسية (ماجستير فى

أصول الفقه من جامعة الازهر) .

● كما وصل الى المدينة الاستاذ ف. عبد الرحيم عبد السبحان ـ الهندى الجنسية (ماجستير فيأصول اللغة من جامعة الازهر وماجستير فى اللغة العربية من الجامعة الاسلامية بعليكرة بالهند وبكالوريوس فى اللغة الانجليزية وآدابها من جامعةمدراس) حيث انضم الى هيئة التدريس بشعبة اللغة العربية بالجامعة .

● تم تعيين الاساتذة السعوديين الاتية اسماؤهم للتدريس فى المعهد الثانوى التابع للجامعة وهم :

الاستاذ حامد عبد القادر الاحمدى

الاستاذ على بن مشرف العمرى

الاستاذ رويعى بن راجح

الاستاذ عبد العزيز القارىء .

والجدير بالذكر أن المذكورين من خريجى كلية الشريعة بالجامعة لهذا العام .

● استلمت المكتبة العامة بالجامعة دفعة جديدة من الكتب بلغت ١٧٠٠ كتاب وبذلك يصبح عدد الكتب التى وصلت الى المكتبة ١٧٨٨٦ كتابا ولا تزال رئاسة الجامعة تعمل جاهدة على أن تكون مكتبة الجامعة فى القريب العاجل من أكبر المكتبات الموجودة فى المملكة .

● تم أخيرا طبع كتاب (فى أفريقية الخضراء) بمطابع دار الثقافة ببيروت وهو من تأليف الشيخ محمد العبودى الامين العام للجامعة . والكتاب يحتوى على معلومات قيمة وهامة عن أقطار افريقية الغربية والوسطى وذلك بعد أن قام المؤلف برحلتين الى هناك رئيسا لوفدالجامعة وقد شرع فىتوزيع الكتاب علىالكليات والمعاهد الاسلامية فى الخارج .

● من زوار الجامعة : فى الاسبوع الاخير ن رجب زار الجامعه الاستاذ عبد البديع صقر .

● كما قام بزيارة الجامعة أيضا الشيخ أحمد المحايرى وهو منخريجى الجامعة ويعمل حاليا لحساب دار الافتاء السعودية فى سيراليون وله جهود مشكورة فى الدعوة الاسلامية هناك وقد قام بالاتصال بالمسئولين فى الجامعة حيث لقى كل تفهم وترحيب .

« بيان باعداد المنح والبلدان التى خصصت لها للعام الدراسى ١٣٨٩هـ / ١٣٩٠ هـ » :

التسلسل	عددالمنح	اسمالقطر	التسلسل	عددالمنح	اسم القطر
١	١٠	اندونيسيا	٢٨	٢	العـــراق
٢	٨	فلسطين	٢٩	٢	بورمـــا
٣	٣	تركيـــا	٣٠	٢	فولتا العليا
٤	٢	أفغانستان	٣١	٢	غانـــا
٥	٧	ســـوريا	٣٢	٢	ايـــران
٦	٣	الصـــومال	٣٣	٤	المغرب
٧	٧	الاردن	٣٤	٢	فيتنام الجنوبية
٨	٣	السودان	٣٥	٢	يوغسلافيا
٩	١	الكويت	٣٦	٤	الفلبين
١٠	٢	مصر	٣٧	٨	الخليج العربى
١١	٣	ماليزيا	٣٨	١	كمبوديا
١٢	٢	كينيـــا	٣٩	١	محلديب
١٣	٢	مـــالى	٤٠	١	النيجر
١٤	٢	الجنوب العربى	٤١	٢	تركستان
١٥	٢	ساحل العاج	٤٢	٢	تونس
١٦	٢	موريتانيا	٤٣	٣	الجزائر
١٧	١	موريتوس	٤٤	٢	سيراليون
١٨	٧	نيجيريا	٤٥	٣	أثيوبيا
١٩	٢	كوبـــا	٤٦	٢	أرتيريا
٢٠	٧	الهنـــد	٤٧	٣	تشاد
٢١	٧	الباكستان	٤٨	٣	أمريكا الجنوبية
٢٢	١	قطـــر	٤٩	٢	اليابان
٢٣	١	ســـيلان	٥٠	٥	اليمن
٢٤	٢	الكنغو	٥١	١	بوزنندى
٢٥	١	تنزانيـــا	٥٢	٢	أوغندا
٢٦	٢	لبنـــان	٥٣	٢	الكمرون
٢٧	٢	السنغال	٥٤	١	سنغافورة
			٥٥	١	جنوب افريقيا
	٩٢			٦٧	

النتيجة الاجمالية لاختبار الدور الاول والثاني في كليتي الشريعة (والدعوة وأصول الدين في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة) و (المعهد الثانوي) (ومعهد الدراسة المتوسطة) وشعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب التابعة للجامعة للعام الدراسي ١٣٨٩/٨٨ هـ :

	الناجحون في الدور الاول	الناجحون في الدور الثاني	مجموع الناجحين	الراسبون	مجموع الطلاب
كلية الشريعة	٢١٠	١١٦	٣٢٦	٥٦	٣٨٢
كلية الدعوة واصول الدين	١١٤	٤٤	١٥٨	٣٧	١٩٥
المعهد الثانوي	١٣٤	٤٨	١٨٢	٣١	٢١٣
معهد الدراسة المتوسطة	٤٢	٤٥	٨٧	٤٤	١٣١
شعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب	٨	٦	١٤	١٧	٣١
	٥٠٨	٢٥٩	٧٦٧	١٨٥	٩٥٢

النتيجة الاجمالية لاختبار الدور الاول والثاني في كليتي الشريعة والدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة للعام الدراسي ٨٩/٨٨ هـ :

كليـــة الشريعة

	الناجحون في الدور الاول	الناجحون في الدور الثاني	مجموع الناجحين في الدورين	الراسبون		مجموع الطلاب
السنة الرابعة	٦٦	٢٤	٩٠	٢٠	=	١١٠
السنة الثالثة	٥٠	٤١	٩١	١٨	=	١٠٩
السنة الثانية	٦٩	١٩	٨٨	٧	=	٩٥
السنة الاولى	٢٥	٣٢	٥٧	١١	=	٦٨
المجموع	٢١٠	١١٦	٣٢٦	٥٦	=	٣٨٢

كلية الدعوة وأصول الدين

	الناجحون في الدور الاول	الناجحون في الدور الثاني	مجموع الناجحين في الدورين	الراسبون		مجموع الطلاب
السنة الثالثة	٣١	٨	٣٩	٤	=	٤٣
السنة الثانية	٣٧	١٣	٥٠	٤	=	٥٤
السنة الاولى	٤٦	٢٣	٦٩	٢٩	=	٩٨
المجموع	١١٤	٤٤	١٥٨	٣٧	=	١٩٥

النتيجة الاجمالية لاختبار الدور الاول والثاني في المعهد الثانوي ومعهد الدراسة المتوسطة وشعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب التابعة للجامعة الاسلامية للعام الدراسي ٨٨/٨٩ هـ

المعهـــد الثانوي

	الناجحون في الدور الاول	الناجحون في الدور الثاني	مجموع الناجحين	الراسبون	مجموع الطلاب
السنة الثالثة	٤٤	١٢	٥٦	١١	٦٧
السنة الثانية	٢٣	٩	٣٢	٧	٣٩
السنة الاولى	٦٧	٢٧	٩٤	١٣	١٠٧
السنة الاولى	٦٧	٢٧	١٨٢	٣١	٢١٣
المجموع	١٣٤	٤٨			

معهـــد الدراسة المتوسطة

	الناجحون في الدور الاول	الناجحون في الدور الثاني	مجموع الناجحين	الراسبون	مجموع الطلاب
السنة الثالثة	١٧	١٧	٣٤	٨	٤٢
السنة الثانية	١٣	١٠	٢٣	١٤	٣٧
السنة الاولى	١٢	١٨	٣٠	٢٢	٥٢
المجموع	٤٢	٤٥	٨٧	٤٤	١٣١

شعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب

	الناجحون في الدور الاول	الناجحون في الدور الثاني	مجموع الناجحين	الراسبون	مجموع الطلاب
	٨	٦	١٤	١٧	٣١

بيان بأسماء وجنسيات وتقديرات الطلبة الحاصلين على الشهادة العالية الليسانس من كلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنـــورة وذلك في اختبار الدور الثاني للعـــام الدراسي ٨٨/٨٩ هـ :

التسلسل	الاســـم	الجنسية	التقدير
١	على قاسم المضواحي	يمنى	جيدا جدا
١	محمد محمد عبسى	يمنى	جيـد
٣	محمد الولى الانصارى	مالى	جيـد
٤	عبد الرحمن جمعة	نيجيرى	جيـد
٥	محمد المختار الصادق	مالى	جيـد
٦	لالو محمد يوسف	اندونيسى	جيـد
٧	عبد الله حسن كلنتن	ماليزى	جيـد
٨	محمد محمد شرف الدين المضواحي	يمنى	جيـد

التسلسل	الاســم	الجنسية	التقدير
٩	لؤ خير الدين	اندونيسى	جيـد
١٠	صديق محمد الانصارى	مـالى	جيـد
١١	عبد الحميد محمود	اندونيسى	جيـد
١٢	على عبد الحميد متوكل	يمنى	مقبول
١٣	محفوظ بن مسعود	اندونيسى	مقبول
١٤	محمد عبده كديش	يمنى	مقبول
١٥	محمد عبد القادر منديلى	سعودى	مقبول
١٦	أحمد حاجى عثمان	ماليزى	مقبول
١٧	لالو لحم الدين	اندونيسى	مقبول
١٨	فتحى محمد خان	باكستانى	مقبول
١٩	محمد محمد الحداد	يمنى	مقبول
٢٠	محمد صالح أبو زيد	جزائرى	مقبول
٢١	عبدالله عبدالوهاب الراشد	يمنى	مقبول
٢٢	شعيب محمد على قدح	ماليزى	مقبول
٢٣	آدم داود	أثيوبى	مقبول
٢٤	ظهير الحق بن أبى الخير	برماوى	مقبول

بيان بعدد الطلبة الحاصلين على الشهادة العالية الليسانس فى كلية الشريعة بالجامعة الاســلامية فى الدورين الاول والثانى للعام الدراسى ٨٩/٨٨ هـ موزعين حسب التقديرات للنجاح وعددهم تسعون جامعيا :

عدد الناجحين بتقدير ممتاز	٨
عدد الناجحين بتقدير جيد جدا	٢٢
عدد الناجحين بتقدير جيد	٤٣
عدد الناجحين بتقدير مقبول	١٧
المجمـوع	٩٠

وباضافة مجموع هذه الدفعة الى مجموع الحاصلين على الشهادة العالية من كلية الشريعة فى الافواج الاربعة الماضية وعددهم مائتان وستة وثلاثون جامعيا يكون عدد المتخرجين من كلية الشريعة فى الاعوام الدراسية ٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ ثلاثمائة وستة وعشرين جامعيا ينتمون الى (٣٥) قطرا من أقطار العالم ٠

بلغ عدد الحاصلين على الشهادة العالية الليسانس من كلية الشريعة بالجامعة الاسلامية فى الدورين الاول والثانى للعام الدراسى ٨٨-٨٩ هـ تسعين خريجا ينتمون الى سبعة وعشرين قطرا من أقطار العالم موزعين كالاتى :

التسلسل	القطر	العدد	التسلسل	القطر	العدد
١	السعودية	١٥	١٥	السودان	١
٢	اليمن	١٤	١٦	بيحان	١
٣	اندونيسيا	٨	١٧	لبنان	١
٤	الباكستان	٧	١٨	موزمبيق	١
٥	الصومال	٦	١٩	زنجبار	١
٦	الاردن	٥	٢٠	موريتانيا	١
٧	ماليزيا	٥	٢١	الهند	١
٨	أثيوبيا	٤	٢٢	أرتريا	١
٩	فلسطين	٣	٢٣	المغرب	١
١٠	مالى	٣	٢٤	ايران	١
١١	سوريا	٢	٢٥	نيجيريا	١
١٢	حضرموت	٢	٢٦	الجزائر	١
١٣	قطر	٢	٢٧	بورما	١
١٤	الكمرون	١			

بيان بأسماء وجنسيات الطلبة الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعهد الثانوى التابع للجامعة الاسلامية فى اختيار الدور الثانى للعام الدراسى ٨٨/٨٩ هـ :

التسلسل	الاسم	الجنسية
١	محى الدين كتي مدني	هندى
٢	هارون الرشيد الحساس	باكستانى
٣	عبد الله محمد سعده	سورى
٤	عيسى الحسن باكى	غانى
٥	محمد قاسم مدربا	سعودى

التسسل	الاســـم	الجنسية
٦	بشير راى فارح	صومالى
٧	محمود قل محمد	باكستانى
٨	جيده أحمد سمان	سعودى
٩	امام فؤاد جيلانى	سيراليونى
١٠	أحمد محمد صفى	أرترى
١١	محمد قاسم سيلانى	سيلانى
١٢	محمد جهاد حافظ رشاد	يونانى

بلغ عدد الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعهد الثانوى التـــابع للجامعة الاسلامية فى اختبار الدور الاولى والثانى للعام الدراسى ٨٨/٨٩هـ ستة وخمسين طالبا ينتمون الى (٢٨) قطرا من أقطار العالم موزعين كالاتى:

التسلسل	القطر	العدد	التسلسل	القطر	العدد
١	السعودية	٩	١٥	الكنغو	١
٢	اليمن	٨	١٦	بيحان	١
٣	موريتانيا	٤	١٧	مـالى	١
٤	ســـوريا	٣	١٨	تايلند	١
٥	السنغال	٣	١٩	ماليزيا	١
٦	باكستان	٣	٢٠	بورندى	١
٧	الكمرون	٢	٢١	كينيا	١
٨	افغانستان	٢	٢٢	عمان	١
٩	الهند	٢	٢٣	غانا	١
١٠	الصومال	٢	٢٤	سيراليون	١
١١	أثيوبيا	١	٢٥	سيلان	١
١٢	تنزانيا	١	٢٦	ارتريا	١
١٣	المغرب	١	٢٧	اليونان	١
١٤	لبنان	١	٢٨	الاردن	١

وباضافة هذا العدد الى مجموع الناجحين من المعهـــد الثانوى فى الافواج الخمســـة الماضية وعددهم خمسمائة وثمانية طلاب يكون عـــدد الحاملين على الشهادة الثانوية فى السنوات الدراسية ٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و١٣٨٨ هـ خمسمائة وأربعة وستين طالبا ينتمون الى (٥٥) قطرا من أقطار العالم ٠

قال الحافظ بن كثير : روى العوفي عن ابن عباس أنه قال : في هذه الآية تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ونبينا خير الأنبياء ، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام لا دين إلا الإسلام وكتابنا ينسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيّين وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا ، فقضى الله بينهم وقال : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجزَ به) وخُيّر بين الأديان فقال : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن إلى قوله واتخذ الله إبراهيم خليلا) .

وقد تبيّن لك أن الإسلام الصحيح الذي لم تخالطه العصبية والعقائد الخرافية يبني التقدم كله روحياً كان أم ماديّاً على أساس العمل النافع مع الإعتقاد الصحيح وإذا سمعت القرآن يقول : (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ويقول : (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) .

ومثل ذلك فيه كثير فإنه لا يريد البتة أن تكون أمة متمسكة بالإسلام شقية في هذه الدنيا محرومة من جميع حقوقها مدوسة تحت الأقدام مخذولة في جميع تصرفاتها مهزومة في جميع حروبها مكبلة مغلولة خاضعة ذليلة تتكفف غيرها من الأمم طول حياتها ثم هي في الدار الآخرة سعيدة عالية الدرجة عند الله وافرة الحظ في دار الكرامة تدخل الجنة وتسعد برضوان الله فإن ذلك وهم وخيال . قال تعالى في سورة الإسراء : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) قال القاسمي في تفسيره :

ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى عن الإهتداء إلى الحق فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ، وأضل سبيلاً منه في الدنيا لأن له في هذه الحياة آلات وأدوات وأسباباً يمكنه الإهتداء بها وهو في مكان الكسب باقي الاستعداد ولم يبق هناك شيء من ذلك . قيل العمى حقيقة فيمن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته ومجاز في أعمى البصيرة وهو عدم الإهتداء إلى طريق النجاة وقيل هو حقيقة فيهما .

فالأمة العمياء التي لا تبصر طريق النجاة والسعادة في الدنيا مع إمكان رؤيتها بالعقل الذي أعطيته وبإرشاد الله لها بالآيات البيّنات التي تدلها

وتهديها طريق السعادة وتحذرها من طريق الشقاء فهي في الآخرة التي لا تملك فيها وسائل للتوبة والتبصر والرجوع إلى الحق أشد عمىً وأضل سبيلاً لأنها في دار الجزاء وكانت من قبل في دار العمل ، فلم تزرع شيئاً نافعاً يمكنها أن تحصده في آخرتها وإنما زرعت أسباب الشقاء والشر ، فهي في الآخرة تحصد الندامة وبعبارة أخرى قد وعدها الله سعادة الدارين إن أطاعته وعملت ما أُمِرت به وتركت ما نُهيت عنه واتبعت رضوانه وأوعدها بشقاء الدارين إن عصت أمره وفعلت ما نهاها عنه واتبّعت ما أسخطه ، والواقع في هذا الزمن أنها عصت الله وارتكبت ما نُهيت عنه وعميت عن أسباب النجاة مع وضوحها فعاقبها الله في هذه الدنيا بالحرمان والخذلان والذلة والهوان ، وسيعاقبها في الآخرة عقاباً أشد ، وستكون في الآخرة أشد عمى ، وأبعد عن النجاة كما قال الله تعالى في سورة الرعد : (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق) وقال تعالى في سورة الطلاق : (وكأيّنْ من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبنّاها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها خُسراً أعدّ الله لهم عذاباً شديداً فاتّقوا الله يا أُولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا) .

المراد بالقرية هنا الأمة ، قال الحافظ بن كثير : يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره وكذّب رسله وسلك غير ما شرعه مخبراً عمّا حلّ بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى : (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله (أي تمردت وطغت واستكبرت عن اتّباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكرا) أي منكراً فظيعاً (فذاقت وبال أمرها) أى غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفع الندم (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي أعد الله لهم عذاباً شديداً أي في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا .

ثم قال تعالى بعد ما قصّ من خبر هؤلاء (فاتقوا الله يا أُولي الألباب) أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم (يا أُولي الألباب)

«الذين آمنوا» أي صدقوا بالله ورسله قد أنزل الله إليكم ذكراً يعني القرآن كقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى : (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم : رسولاً منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلّغ الذكر ، وقال ابن جرير الصواب إن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيراً له ولهذا قال : (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات) أي في حال كونها بينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور كقوله تعالى كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وقال تعالى : الله ولي الذين آمنو يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم .

وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سمّاه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا) قد تقدّم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ها هنا ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى في سورة النحل : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) فأنت ترى أن الله تعالى وعد الذين يعملون الصالحات ويتمسكون بالإيمان أن يحييهم حياة طيبة في الدنيا ويجزيهم جزاء حسناً في الآخرة فإذا أحياهم حياة سيئة بالشقاء والحرمان فذلك دليل قاطع على أنهم عملوا السيئات وأن الله سيعذبهم أكثر مما عذبهم في الدنيا إذا عرف المسلمون ومنهم العرب هذه الحقيقة وجب عليهم أن يكونوا على يقين أن كل حركاتهم في هذه الأزمنة الأخيرة لا يزيدهم إلا خبالا ولا تكون عليهم إلاّ وبالاً فيجب عليهم أن يبحثوا عن طريق جديد ووجهة جديدة ولن يجدوها إلا في الرجوع إلى القرآن وقد تحديناهم نحن وأساتذتنا مائة سنة أن يجدوا سبيلاً أخرى للخلاص فلم يجدوها ولن يجدوها أبداً .

ومن ذلك تعلم علم اليقين أن السفهاء الذين يسمون الرجوع إلى القرآن والتمسك بالإسلام رجعية . هم شر رجعيين في العالم ، ولا تجد لرجعيتهم نظيراً بين الرجعيات في هذه الدنيا وإذا تجرؤوا وزعموا أنهم تقدميون فإن جميع أهل الأرض يلعنونهم ويسخرون منهم وذلتهم وفقرهم وجهلهم وحقارتهم شهود عدول على كذبهم ، أضف إلى ذلك طيشهم واستبدادهم وفقدان العدل والمساوات بينهم وإنهم فوضى يخبطون خبط عشواء في ليلة ظلماء ، لا استقرار عندهم ولا أمن يثور بعضهم على بعض ويفني بعضهم بعضاً كل ثائر يريد أن ينعم بالإستبداد والطغيان ولو مدة قصيرة ومع ذلك يمدحون الثورة ويجعلونها من القواعد المرغوب فيها لذاتها ، وإن لم يترتب عليها إلا زيادة الشقاء والشتات والدموع والدماء لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

مقصود الأوروبيين النصارى بالرجعية

يرى الأوروبيون النصارى أن التمسك بالأساليب التي أكل عليها الدهر وشرب وأقام الدليل على أنها خطأ رجعية مذمومة محالفة للشقاء الذي يزول حتى تزول تلك الأساليب ، فمن ذلك الإستمرار على الجهل بما ينفع الناس في دينهم وأخلاقهم ومعاشهم وأرزاقهم ، ومن ذلك التعصب للعقائد والأنظمة ، فكل أمة تكون متفرقة فرقاً عديدة لكل فرقة عقيدتها وكل فرقة تبغض من يخالفها في العقيدة من مواطنيها بغضاً يحملها على عداوتهم والكيد لهم وأذاهم فهي فرقة رجعية ، وإن كانت فرق الأمة كلها كذلك فالأمة كلها رجعية بعيدة عن التقدم والسير في طريق الفلاح ، لأنه ثبت بالبرهان القاطع عندهم أن الأمة لا تستطيع

مثل قرآني

أنزل من السماء ماء ، فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا .

ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال .

الرعد / ١٩

التعاون على ما فيه خيرها وسعادتها إلاّ إذا نبذت التعصب وساد فيها التسامح بين الفرق .

ومن ذلك التعصب للنظام كالجمهورية والملكية مثلاً فكل شعب يتعصب لنظامه ويبغض كل من خالفه ولا يكفيه ذلك حتى يعاديه ويكيد له ولا يتعاون معه أبداً ولا يتبادل معه المصالح فهو شعب رجعي مذموم عندهم ولذلك تجد الشعوب المتقدمة الملكية كبريطانية والدانمارك والسويد والنرويج وبلجيكا ولوكسمبورج وهولند لا تبغض الدول الجمهورية لكونها جمهورية كالولايات المتحدة الأميركية أو فرنسة وسويسرة وجرمانية وإيطالية بل تتواد معها وتتعاون معها ، وتتبادل معها المصالح وكل فريق يترك للفريق الآخر الحرية فيما اختاره لنفسه ، ومن

فدائيون

كان كعب بن الاشرف رجلا من طي وأم من بني النفير وهو من زعماء اليهود بالمدينة ، آذى المسلمين وشبب بنسائهم وحاك المؤامرات لحربهم والقضاء عليهم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ثم قال . من لي بابن الاشرف فقد آذاني ، فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه أنا لك به يا رسول الله ٠

وفي ليلة الرابع عشر من ربيع الاول من السنة الثالثة من الهجرة توجهت السرية بقيادته واشتراك أبي نائلة سلكان بن سلامة وعباد بن بشر الى قلعة بن الاشرف في ديار بني النضير حسب اتفاق سابق معه على رهن بعض السلاح عنده مقابل كمية من الطعام وكان قد طالبهم عدو الله برهن نسائهم وأبنائهم فرفضوا ٠

وعند القلعة استنزلوه الى شعب العجوز (ويقع في الغرب منها) وقتلوه ، فصاح صيحة سمعها أهل الحصون المجاورة من اليهود فأوقدوا المشاعل ليكشفوا عن العملية دون جدوى ، ورجعت السرية من ديار بني أمية وحرة العريض ، ولما بلغوا بقيع الفرقد كبروا فسمع رسول الله تكبيرهم وعرف أنهم قتلوا عدو الله فلما انتهوا اليه قال : أفلحت الوجوه قالوا : ووجهك يا رسول الله ٠ ورموا برأس كعب بين يديه ٠

ابن اسحاق/ طبقات بن سعد /
نهاية الادب باختصار

الأمثلة العجيبة في ذلك أن ايرلندة المستقلة اختارت النظـــام الجمهوري وخرجت على أُمتها البريطانية ، وكلهم يسكنون بلاداً متصلة وينتسبون نسباً واحداً ولو شاءت بريطانية أن تتعصب وتكيد لارلندة كما يفعل الرجعيـــون لسحقتها في يوم واحد وأجبرتها على الإنضمام لها ولكنهما تعيشان بسلام . ومن ذلك التعصب للأساليب القديمة في الفلاحة والملاحة والصناعات ، فلو وُجد شعب يحرث على الدواب وعُرضت عليه الجرارات العصرية فمنعه التعصب من قبولها لكان رجعياً مذموماً محروماً ، ولو وُجدت قرية تستضيء بالقناديل والزيت والفتل وعرضت عليها الكهرباء فرفضتها لكان أهلها رجعيين مذمومين .

وهكـــذا يقال في قرية يطحن أهلها بالأيدي فعرضت عليهم طاحونة بالكهرباء فرفضوها ، وفي قوم يسافرون في البحر بسفن شراعية فعرضت عليهم البواخر التي تمخر البحار كأنها الأعلام وقس على ذلك فهذا هو الفرق بين الرجعية والتقدم عند نصارى أوروبا . أمـــا دراسة الدين في الجامعات وتخصيص كل جامعة عظيمة كلية عظيمة محترمة مكرمة لتعلم اللاهوت (ثيولوجي) وإقامة الصلوات في كنيسة الكلية وإيجاد أعمال دينية محترمة لهم في شعبهم وامتلاء الكنائس يوم الأحد بالمصلين والمصليات من التلاميذ والطلبة والأساتذة وعامة الشعب وحضور أساتذةالجامعة ومشاركتهم في الصلوات والإحتفال بتخرج عدد كبير من الأطباء كل سنة في تلك الكليات ، والتبرع بملايين من الدولارات والجنيه لنشر النصرانية خارج أوروبا وأميركا وبناء المستشفيات والمدارس والكنائس والإرساليات في آسية وإفريقية فلا يعدون شيئاً من ذلك رجعية ، ومن ذلك الحكم الإستبدادي الذي لا يستند إلى انتخاب ولا برلمان ولا مجلس شيوخ فإنهم يعدونه رجعية ، ولذلك ترى أكثر دول أوروبا وأمريكا تبغض نظـــام الحكم في إسبانيا وتشمئز منه ، على أنهم ليسوا سالمين من التعصب الديني وإن كانوا يذمونه وقد عاشرتهم وخبرتهم فرأيت فيهم من التعصب للدين أشد التعصب حتى فيما بينهم كالبروتستانيين والكاثوليكيين وفيهم من يبغض الإسلام بلا سبب تعصباً للنصرانية ، ولي على ذلك أدلة لو ذكرتها لطال الكلام .

البقية في العدد القادم

المحتـوى

طبعت بمطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر - جدة

مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر

جـــدة